قصص قصيرة

نون ومايسترون

مارا أحمد

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبي

السيد حسن

المدير التنفيذى

هناء أمين

مدير الإنتاج

مصطفى عماد

الطبعة الأولى

الكتاب : نون وما يسترون

المؤلف : مارا أحمد

تصنيف الكتاب : قصص قصيرة

تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٧٥٨٨/ ٢٠٢٠

الترقيم الدولى :978 - 977 -6817 -12-8

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : ketabtoyof@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

الإهداء

إلى

"هي" و "هو"

فلهما كانت الحياة

وبهما بعثت بعد موات.

مارا

رقم عشوائي

اعتادت أن تترك وراءها قميص نوم على سرير كل عشيق شاركته الهوى، لا تدري لم ترتكب تلك الحماقة، ربما أرادت أن تترك شيئا منها، ورائحتها لتعذب عشيق الليلة، إنها بصمتها كما العتاة المجرمين، أو ربما أرادت أن تفعل كما الساحرات، أن تترك روحها لتسحره فيتلوى بالشوق إليها، أو تخلف وراءها طاقتها كما تقول الفيزياء فتظل حاضرة مسيطرة عليه حتى ولو ذكرى.

تكن بداخلها مشاعر ملؤها الكراهية والاحتياج في الوقت نفسه للرجل، في عمق الوعي تشن حروبا ضد أي كائن ذكوري خاصة هؤلاء المتبرجين بملامح أبيها وصفاته، هكذا كانت أحد طقوسها .

هي امرأة ليست أقل من أن توصف بالأنوثة، جسدها منحوت كما وأن أديبا مفوها قد كتب تلك المواصفات ونفخت فيها السماء الروح لتبعث

هذه الأنثى، جسد خمري مشبع بحمرة، إنها أنثى برونزية، خصر صغير وصدر ممتلئ في استدارة لم تشوهه رضاعة أو ولادة، أرداف ممتلئة ناعمة كما المرمر لسيقان طويلة .. إنها تهتم بجسدها وترعاه جيدا فهو الطعم الذي يستدرج عشاقها.

أما عن الوجه، فالعينان تشع منهما نظرة يفهمها الرجال، إنها دعوة للحب .

في هذه الليلة قابلته وحدث شئ ما لم تمر به من قبل، انتفض قلبها فجأة، وضعت يديها على صدرها وكأنها تمنع قلبها من الفرار، تمسك به خوفا من أن يُحلق خارجا من صدرها حاطا على كفه .. احمَر وجهها خجلا، هي التي لا تعرف معنى الحياء .. وميض لمع في عينيها وبحثت في عقلها عن مفردات اللغة لتحدثه فلم تتذكر، حاولت أن تجتر كراهية تلوكها عمرا ضد الرجال لكنها فشلت.

نسيَت الكلام وارتبكت وتلجلجت، فظهرت أمامه كما البتول التي تلتقي حبيبها لأول مرة، حاورها

بلغة تختلف عن لغة كل الرجال الذين كانوا صيدا لها .. لم يتغزل في جسدها ولا في وحشية جمالها .. دار حوار لا تتذكر أغلبه، فلقد كانت تتأمل فيما خلف نظراته، وخلقت عالما كلما تشابه مع علاقات سابقة هزت رأسها وكأنها تمسح صورا لا تعجبها، أو ترفضها.

لفت نظره حركات رأسها وكان يتوقف عن الكلام اعتقادا منه أنه اعتراض على كلماته، فتعتذر متحججة بأنها حالة عصبية تصيبها من الضوضاء.

نظرت إليه والحمرة تغطي خديها فازدادت جمالا على جمالها وابتسمت، تمنت أن يسألها عن مواعيد حضورها إلى الكافيه ولكنه لم يفعل، تحججت بالرغبة في الانصراف، قد يستفزه ذلك لكي يسألها عن موعد لقاء، بالفعل قبل أن يرد التحية سألها:

- هل تمانعين أن نلتقي غدا؟

- لا .. لا مانع .. **(لم تتردد في الموافقة)**

التقيا في اليوم التالي في المطعم نفسه ودارت بينهما أحاديث كثيرة، وكانت كلما تحدث تأملته في صمت كما الناسك في معبد يتلو صلاة الصمت والابتسامة لا تفارق شفتيها .
شعرت بخطورة تلك العلاقة وبضعفها، فهي تدرك جيدا أنها علاقة نبتت على أرض قفر .. لن تنبت مستقبلا، لذا قررت أن تبتعد وأن تعود لهوايتها التي تُشعرها بالنصر وبفوقيتها على أي رجل، لتعتبر هوايتها خمرًا تنسى به هذا المقتحم لحصونها، المغالب لعداوتها للرجل.
أمسكت الموبايل، وكانت تتصارع بداخلها مشاعر مختلطة ما بين الشوق والحزن،ضربت أرقاما لم تنتقيها ليرن الجرس على رقم عشوائي رد صوت رجل ومارست هوايتها في اصطياده، حددت الموعد والمكان، سألها عن المبلغ، ردت : إنها هدية، ليلة هدية فإن أعجبتك كان لنا الاتفاق.
جلست أمام المرآة تضع زينتها التي زادت من روعة حسنها، وركبت سيارتها إلى العنوان

الذي أملاه لها العشيق الجديد .. ركبت المصعد ووصلت إلى الشقة، قبل أن تضغط على الجرس اتصلت به وطلبت منه أن ينفذ شرطها، وهو أن يطفئ نور الشقة إلا من إضاءة بسيطة تظهر له منها وجهها.

أجاب : حدث ما طلبت

رنت الجرس وفتح الباب، دخلت دون أن تهتم بالنظر إليه وكأنه أمر لا يشغلها، فالرجل في معتقدها رقم وجسد لليلة.

جلست على الكنبة المواجهة للباب وجلس الرجل على (الفوتيه)، الجانبي فظل وجهه في الظلام .. بدأت في الكلام ولم تخل أي جملة من لفظ إيحائي فاضح، واكتفى الصيد الجديد بالاستماع دون كلمة .. أخرجت قميص نوم أسود من حقيبتها وقالت في نبرة إغوائية :

- جسدي يصير كما أحد التماثيل الرومانية للفن الايروسي في اللون الأسود، سبق وأن قلت لك إنني هدية لك الليلة، إن أعجبتك وأعجبتني سوف أكررها باتفاق جديد.

- أكيد أعجبتِني منذ أول لحظة شاهدتك فيها.
- أعرف .. أنا أظهر في حياة المختارين فقط
- لماذا اخترتني؟
- كان اختياراً عشوائياً، هكذا اعتدت أن أنتقي عشيقَ الخميس الأخير من كل شهر
- عشيق كل شهر؟! وما المقابل؟
- المتعة الحرة التي تتملص من أي قيد، قد اخترت بين أمرين، إما أن أكون زوجةً لرجل أناني أتزوجه لأكون جارية بلا مقابل وأنجب له أبناء أرهق نفسيتي وجسدي في تربيتهم، ليعيش هو لنفسه ليسخر من سمنتي ومن أني نكدية لأنه تناسى أنه يتركني للتعامل مع بائع يبغض المرأة، ومصالح حكومية بدلا من أن تساندها تعيقها وتزيد كآبتها، وضغوط المصاريف وعمل لا يقدرها، لا مدير ولا موظفين ولا هو الزوج المصون، ثم يفاجئني بخيانة.
أنا التي أختار زوجا كل شهر، أستمتع بلا قيد وتسلط وأعباء فشلنا جميعا في إيجاد قانون

ينظمها أو أن نتكيف معها، فالزواج شركة فاشلة تتداعى للسقوط سريعا.
- والحب؟
هي بعد أن رنت ضحكة كافية لأن تزلزل كيان ناسك : أي حب؟!
- الحب عزيزتي .. الحب الذي يجعل لكل شئ معنى .. نحن نناصف الحيوانات في الجنس لكن نرتقي عنهم بالحب.
- أنا أرى الحب كما الزئبق .. لامع وجميل طالما ظل بعيدا، وإن حاولت الإمساك به، تمزق إلى جزيئات دقيقة وتناثر حتى يبتعد، وإن تنفسته أصابك بسرطان قاتل، أو كما الياسمين له عطر يأخذ اللب ولكنه قصير العمر، يذبل، يفقد نصاعته عندما نلمسه ونتحسسه.
- ماذا؟ ألم يرُق لك لون القميص أم أنا التي لم تعجبك؟
قبل أن يجيب مد يده ليشغل موسيقى هادئة : كلاكما مبهر شكلا، ولكن الأكثر إبهارا أن أفهم من أنت.

- ماذا سيفيد إنها ليلة وسنفترق؟
- ربما أروق لك فنكررها..
ثم واصل كلامه :هل تعتقدين أن كل ما يجمع الزوجين هو الجنس فقط؟ هل رأيت رجلا طلق زوجته لأنها صارت سمينة مثلا؟ !سيدتي نحن نسخر من أنفسنا قبل أن نسخر من نسائنا كنوع من "الكوموفلاج" نغطي، أو لأكون أكثر دقة نخفي أنفسنا، فالرجل والمرأة كلاهما عجلتان في دراجة واحدة، كلاهما مطحون في عصرنا، ليست المرأة فقط التي دُهست أنوثتها، ولكن هناك لحظات سعادة لا أدري لم لا نحكي عنها كأننا نخشى أن نحسد أنفسنا عليه، وهي لحظة رؤيتنا لابتسامة أول طفل، ولحظة تجمع الزوج وزوجته وأولاده في سهرة أمام التليفزيون مثلا، لحظات تختصر الحياة في كلمة،"الدفء" الذي تفتقده واحدة مثلك.
فجأة وقف الرجل وتوجه نحو زر الكهرباء، حاولت أن تثنيه مهددة :

- شرطي ألا تشعل الإضاءة، إن فعلت سأنصرف
- لابد أن يرى كل منا الآخر فأنا رأيتك جيدا، أما أنت فلم تريني، لم تعرفيني وهذا ظلم
- وماذا يهم إن عرفت من أنت؟!
- أنا يهمني
الصوت جعلها تنتفض، فلقد أعاد إليها صوت رجل الكافيه، تضاء أنوار الصالة وتلتفت إليه لتجده هو..
- كيف؟ أنا ضربت أرقاما عشوائية!!
- خدمني القدر فقد كنت أشتاق إليك، وكرم منه أن استجاب لدعوتي فقد رأيتك عارية
سحبت قميصَها الأسود وأغلقت الباب خلفها، وهي مازالت تردد : "كان رقما عشوائيا"

بيع باطل

أطلقت نساء القرية الزغاريد، إنه عرس سمية، تلك الصبية التي حلت ضفائرها منذ عدة أيام، التي لم تتم عامها الخامس عشر بعد .. اليوم العيد، وهي تلعب مع مثيلاتها، تتباهى بفستانها وحذائها الجديدين .. تدخل على أمها التي تُقبلها وتدعوها بوش السعد : الحمد لله يا سمية جاءك عريس..

تقفز البنت من الفرحة وتحدث الأم قائلة : أريد أن يكون فستاني منفوشاً كما الأميرات، وأن أذهب إلى الكوافير الذي قام بتزيين ابنة عمي، كانت جميلة جداً .. وأريد أن تكون الكوشة بالستان الأبيض، وبها الكثير من الزهور، وعالية؛ حتى لا يصعد إليها أطفال البلد الذين يحيطون بأي عروس ويفسدون عليها فستانها وزينتها.

وفجأة تسكت وتسأل : صحيح يا أمي من هو العريس؟ وهل وافق أن أكمل تعليمي؟

-ابن عزيز الذي يمتلك سيارة نقل، معروف في بلدته هو وأسرته بالغنى وعندهم أراضي.
-والمدرسة يا أمي؟
-لا دراسة بعد اليوم أنت كبرتِ وداخلة على مسئولية بيت وتجهيز واللي ذهبوا المدارس ماذا جنوا؟! لاشئ .. التي حصلت على مؤهل جامعي والتي لم تكمل، الاتنين النهاية واحدة آخرتها الزواج والعيال، نوفر نحن كل هذا ونشوف حالنا .
-لكن يا أمي كان نفسي أكمل وأكون معلمة مثل معلمتي
-التعليم له ناسه يا ابنتي .. إخواتك كتير ويحتاجون إلى أكل وملابس وتعليم، وأنا وأبوك لا قدرة لنا ولا إرث، كما أن عريسك غني ولن يكلفنا شيئا..

"سمية ابنة لأسرة فقيرة، فالأب مزارع وله من الأولاد سبعة .. ثلاثة أولاد وأربع بنات نتجوا عن موروث ثقافي بأن الأبناء عزوة"

عندما علم المأذون بعمرالفتاة رفض أن يعقد القران وثار قائلا : إنها جريمة يعاقب عليها القانون، فالبنت لم تبلغ السن القانونية.
تجهم الأب والأم، فالصفقة تضيع منهما .. سأل الأب : وما العمل؟
المأذون : إنه شرع الله .. ولكنها القوانين
رد الأب : نعم
وتملك الحزن قلبه ونظر في عين المأذون منتظراً منفذاً قانونيا لإتمام تلك الزيجة.
قال عم العروس: نكتب لها عرفياً ويوقع العريس على إيصال أمانة يسترده عندما تتم الفتاة السن القانونية ويتم توثيق الزواج.
تنفس الأب الصعداء وقبل العرض ووافق العريس، جلست سمية في الكوشة تضحك، سعيدة بفستانها وتسريحتها وبالغناء .
تزف الفتاة إلى بيتها وهو بيت كبير، الطابق الأول للأم وهي تعد الزعيم الفعلي للبيت، القائمة على إدارته، الآمرة الناهية، الجميع يأتمر بأمرها، توزع مهام البيت على زوجات أولادها من تنظيف وخبيز وطبخ، يأكل الجميع في شقة

الأم لا تستطيع أية زوجة أن تستقل في شقتها أو أن تطبخ .
لها ولأبنائها بعيداً عن الحماة، فقوانين البيت يجب أن تُحترم، وفي نهاية اليوم تأخذ كل زوجة طبقا به قطع اللحم بعدد أفراد أسرتها وتصعد به إلى شقتها..
الزواج لم يكن حفلا وفستانا وتسريحة ومكياجا.
بعد أيام قليلة حملت سمية وفرحت لأن الشهور الأولى أنقذتها واستثنتها من الخدمة .
في زيارة من الأم شاهدت ابنتها الطفلة، التي كانت تلعب وتملأ البيت ضحكاً، وقد زين وجهها الشحوب .. نظرت إليها نظرة من لاحيلة له وانصرفت، وقد فقدت سمية الرغبة في الاستمرار لولا أن زوجها كان طيباً، نصحتها أمها بالتحمل حيث أوشكت أن تكون أما لطفل، انزوت في غرفتها وبدأت صحتها في الانحدار.
استيقظت سمية يوماً على صراخ حماتها التي تسكن بالدور الأرضي، لتهرع إليها لتعرف ما الأمر .. تسقط سمية أرضا فاقدة للوعي، لقد

أخبرتها الحماة أن زوجها انقلبت به السيارة النقل في النيل وأنه قد مات.
قضت سمية الشهور الأخيرة من الحمل في المستشفى فضعف جسدها وكارثة موت زوجها جعلتها تمتنع عن الطعام مما عرض حياتها وحياة الجنين للخطر .. غابت سمية في حلم، "إنها تلعب في الحي بفستان العيد مع البنات وتضحك ثم تركب الأرجوحة، التي ترتفع بها إلى السماء لتجاور الحمائم والعصافير وهي ضاحكة، وفجأة تسقط بها الأرجوحة" .. تفيق لتجد بجوارها طفلاً جميلاً وممرضة تهنئها .. يفرح الناس دائما إن كان المولود ذكر :

- "ولد كما القمر، هو ضعيف لكنه سيكبر ويكون لك سندا" .. هكذا قالت الممرضة وتسألها : ماذا ستسمينه؟

لم ترد .. إنه عالم ألقيت به بلا وعي منها، أسماه أهل الزوج على اسم والده .. هي لم يكن لها حق اختيار الزوج ولا حتى اختارت اسم وليدها.
تعود سمية إلى بيت أبيها وهي تحمل ابنها وهو بعمر أسابيع ..

يسألها الأب : ما الأمر؟
تجيب : قالت حماتي إن "وجودي في البيت بعد موت ابنها لا يجوز، فلديها شباب وتراني كما البومة دخلت عليهم بالموت، وأنهم لا يشعرون بالراحة في وجودي بينهم ومن كان يربطهم بي قد مات".
يواجه الأب رفض أسرة زوج ابنته منحها حقها في الميراث ورفضهم الاعتراف بالابن أو حتى الاعتراف بالزواج، ويهددونه بصوت ملئ بالثقة والوعيد
قالوا :القانون لا يعترف بالعقد العرفي والبنت لم تتم السن القانوني للزواج، وهذا يعرضكم للمساءلة القانونية، وإن كانت معكم نقود اصرفوا على المحاكم، أما عن وصل الأمانة فمن كتبه قد مات، بلوه واشربوا ميته.
تسمع أم سمية ذلك فتطلق صرخة في الدار يسمعها الحي كله قائلة : البنت أصبحت أرملة في عرف القرية وزانية أمام الحكومة.

النهر الخالد

وقفت فوق كورنيش النيل تتأمل ذلك النهر والدموع تنهمر من عينيها، ليتلقاها النيل مُرحبا كما يتلقى دوما الكثير من ضحكات ودموع الكثيرين، هؤلاء الذين يرتادون صدره فرحا وحزنا..

- كيف جرؤ أن يخونني .. كيف فعلها؟ كنت له الحبيبة والزوجة والصديقة والأم، لم أقصر في حقه ولا في حق ولدينا.

تذكرت يوم زفافهما وتتويج حبهما بالرباط المقدس، ليس لهما فقط بل ولأسرتيهما اللتين ارتبطتا بعلاقة صداقة وقرابة لعقود طويلة، والآن تتوثق هذه العلاقة وتزداد تلك الرابطة متانة.

لقد تم زفافهما وهي في الصف الأول من كلية الحقوق، وهو في نفس عمرها وقد التحق بكلية الهندسة .. بعد الاطمئنان على نتيجة مكتب التنسيق تم الزواج، فهي وحيدة أسرتها التي تعد

من الأسماء اللامعة في مجال تجارة الملابس، وهو وحيد أسرته أيضا .
بعد أن قضيا أسبوعا في أحد المنتجعات عادا ليجدا شقتهما بكامل التجهيز على مقربة من عائلتيهما ..
كان راقيا محبا لها، لم يُغضبها يوما وأصر على أن تواصل تعليمها، فرغم صغر سنه إلا انه كان مسئولا منذ صغره، لم يعرف التدليل رغم أنه الوحيد، رفض أن يعطلها بالإنجاب واتخذا قرارا بتأجيل الحمل إلى حين الانتهاء من الجامعة، واجه غضب أهله وواجهت غضب أهلها، فلقد زوجوهما مبكرا استعجالاً للأحفاد ليعوضاهم بالكثير منهم، وبالفعل اجتازت الجامعة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وسبقته هي بأن التحقت بالدراسات العليا، عندئذ جلس معها ليفصح لها عن رغبته في الإنجاب، لم ترفض طلبه فهي قد اشتاقت أن تحمل طفله، ذلك المخلوق الذي سيرسخ حبهما ويوطد العلاقة بين

اسرتيهما .. أنجبت ابنهما الأكبر" أمل "وبعده بعامين جاء الابن الأصغر" ساجد."
كان التحدي الثاني الذي واجهاه معا، رغبة أسرتيهما في المزيد من الأحفاد، خاصة أنهما ميسورا الحال، فلماذا يكتفيان بولدين فقط؟
أبعد زوجها عن أهله تلك الرغبة خوفاً عليها من الإجهاد، وحفاظا على تفوقها، وكذلك حماية لجمالها من أن يجهده تكرار الإنجاب .. هكذا حسم الأمر مع الأسرتين.
كان سندا لها ولسانها المدافع دوما عنها والمتحدث برغبتها، ربما لأنهما اجتمعا على الأحلام والأهداف نفسهما.
نجحت سريعا وصارت مستشارة قانونية في سن صغيرة، ولمعت في البرامج التليفزيونية إلى جانب القضايا الخاصة بمكتبها، الذي اختار هو أن يكون قريبا من شركته للبناء والتعمير.
كانت تقصر أحيانا في حقه كزوج لمشاغله أو مشاغلها، لكنها كانت تنتهز أية فرصة لتعوضه

عن هذا التقصير بأن تحجز لهما غرفة بمنتجع شهر العسل.

كانت حياة شكرته عليها، فهو من وهبها النجاح وأجمل ولدين وأسرتين مترابطتين، إلى أن كان ذلك اليوم المشئوم، كانت عائدة بسيارتها وقد شعرت بالإرهاق فقررت أن تمر على شركته وتعود معه، لتراه خارجا من العمارة متأبطا فتاة ويتضاحكان وهي تميل على صدر .. لم تشعر بساقيها، أخذت دقائق قبل أن تتماسك وتتبعهما بالسيارة، إلى أن وصل إلى أحد الفنادق وهبط من السيارة وأمسك بيد الفتاة وقبلها وطبع قبلة على خدها .. ركنت سيارتها ودخلت وراءهما فإذا به جالسا بكافيه الفندق في جلسة رومانسية قالت لها الكثير.

نظرت إليهما ولم تنطق بكلمة، ونظر إليها وعيناه كادتا تمسكان بها ترجوانها العفو.

أسرعت إلى سيارتها وتوجهت إليه، إنه الصديق والمستمع الراقي لها، إنه النيل.

- سأخلعه وأبدأ حياة جديدة، سأتزوج بأغنى منه وأوسم منه، فأنا مازلت جميلة ألمس ذلك من نظرات الإعجاب في عيون الكثير من الموكلين ومن كلمات الغزل التي أسمعها في أي مكان أتواجد به .. كيف سمح لها أن تلمسه، كيف قبل امرأة غيري؟!لا ..لا ..كيف أهجره وهو وطني وبيتي؟ !كيف سأعتاد رائحة غير رائحته؟ كيف سأعتاد صوتا غير صوته؟ !لقد تفتح صباي وأنوثتي على يديه، لم يكن هناك رجل قبلني بعد أبي غيره، كان أبي وعشيقي وصديقي قبل أن يكون زوجي، كيف أتخلى عن وطني وبيتي لأي دخيل ؟!

أخذت نفساً عميقاً وكأن تلك الأنفاس المختلطة بنسمات النيل دم جديد سرى بأوردتها طاردا هذا السرطان الذي جعل جوفها جافا ومرا .. أقسمت أن تعيده وتعود معه إلى بيتهما، فلا يحق لها أو حتى له محو تاريخهما معا وهدم أحلام ولديهما. اتصلت بصديقة لها صاحبة مركز تجميل، كانت وكيلتها وتحولت العلاقة بينهما إلى صداقة،

وطلبت منها أن تحجز لها موعدا، ثم اتصلت بمدير المنتجع الذي اعتادت هي وهو أن يهربا إليه كلما أخذتهما الحياة، وحجزت غرفة باسم زوجها .. اتصلت بولديها وطلبت منهما إرسال رسالة إلى أبيهما بها كلمتان فقط" .. وحشتنا يا بابا"، ثم اتصلت به .. سمعت صوتَه مرتعشا خجلا، سألها : أين أنت؟ عمري إنت فهمت غلط أنا لم أخنك ولن أخون إنها مجرد لحظة ضعف ليس أكثر.

- ومن اتهمك بالخيانة ؟ !أنا أثق بك أكثر من ثقتي بنفسي، أنت نصفي الأجمل، أنا حجزت لنا بمنتجع حبنا غرفة، سنذهب غدا، بعدها نعود للاحتفال بعيد ميلادك مع أسرتينا وأولادنا.

- أحسنت والله أنا بحاجة لأن أنفرد بنفسي .. بك .. فأنت نفسي ..

ابتسمت ورفعت رأسها وأدارت سيارتها وهي تنظر إلى النيل في شموخ المنتصر.

الابتسامة الواقية

صنعت لنفسها كوباً من القهوة باللبن، أمسكت بالموبايل ودخلت إلى البلكونة لتنفرد بنفسها .. الجو حار، إنه شهر يوليو، موسم الصيف يكشر عن أنيابه برطوبته العالية.

كل شئ حارق وخانق، الجو، والأخبار، والأعباء.

قبل قليل اتصل بها صاحب البيت ليطالبها بدفع سبعمائة جنيها نصيبها من فاتورة كهرباء السلم، وقبله بيومين كان مسئول الصيانة يطالبها بمبلغ ثمانية ألف جنيها لفاتورة المياه .. تلقت كل هذه الأحمال بابتسامة تخفي وراءها غضبا وخوفا بل وحزنا، لكنها اعتادت أن تكون صلبة، متماسكة، مبتسمة.

هي التي صمدت لحظة سماع خبر مرض زوجها بسرطان الكبد، والتي لم تدرك حينها خطورة حالته ليموت بعدها بأقل من خمسة أشهر من لحظة اكتشافهم المرض لتصحو على

واقع أنها أصبحت العائل الوحيد لأولادها الأربعة وسندها الله .. لم تُشعر أولادها أبدا بالخوف أو القلق، بل لم تترك للعادات والتقاليد التي تبالغ في إقامة مراسم الحزن الطويلة أن تقودها وتحركها، تركتهم يشاهدون التلفاز، بل حجزت لهم المصيف كما اعتادوا وتجرعت حزنها وذكرياتها مع زوجها وحدها، يرافقها دائما طيفه وابتسامته الجميلة.

اعتادت أن ترى المشاكل وكأنها حواجز وهي فارسة تمتطي حصانا وعليها أن تجتاز تلك الحواجز دون غلطة لتصل إلى نهاية السباق، فهناك ينتظرها كأس الفوز، مجموعة سباقات وعوائق في لعبة واسعة ومتعددة المراحل اسمها الحياة، دائما ما كانت تصف ما يحدث لها من مصائب بأن السماء" تناغشها."

من يراها ويتعامل معها يرميها بالبرود أو تحجر المشاعر، فهي المبتسمة حتى عند الموت.

في هذه الليلة طال الحوار مع نفسها، فالأعباء أثقلت كاهلها بلا رحمة، أدارت الموبايل على

موجة الإف أم، وضعت السماعات بأذنها واستمعت إلى الست، وواجهت نفسها معاتبة : ألا تعرفين من حقك الصراخ، من حقك أن تحرري دموعك التي تتلوى داخل عينيك؟ ! تتحركين كما أن الزمن توقف بك عند العشرين وأنت التي تعانين من التهاب الفقرات القطنية، والتي تلهث أنفاسك عند صعود السلم !!هل لديك القدرة على المواصلة والتحمل حتى إكمال مهمتك والحفاظ على الأمانة" أبناؤك"؟ الصراع مع الحياة والبشر أجهدك وأحنى ظهرك، أنت فقيرة والغد عزيزتي لا يحمل انفراجة .. أنت تتصرفين وكأن في الغد ستمطر السماء ذهبا وأنت الموظفة لدى مسئول يرفع مرتبك كل عام عدة جنيهات تضيع مع الغلاء المسعور!!

ردت على الحوار الدائر بين نفسها المُتعَبة وأمومتها : أنا وريثة تلك السيدة الصابرة، أمي التي ربتنا نحن وأخواتي الثلاث وهي عاجزة عن الحركة من معاش لا يُسمن ولا يغني من جوع، وماتت بعد أن أكملت مهمتها مبتسمة ..

أنا ثائرة عن ثائرة ولن تهدأ ثورتي حتى أسلم الأمانة في شرف.
سوف أبحث عن طريقة ما لأكسب مزيدا من المال، فالصراخ والشكوى للناس لن يحل لي أزماتي ولن أكسب إلا الشفقة المؤقتة والتي لا تلبث أن تنتهي بنفور الناس وابتعادهم، احترام الجميع لي ومراقبتهم لخطواتي وقوتي، ونظرتهم التي تحمل أحيانا التقدير وأحيانا الغيرة تحفزني على المواصلة .. سأقود جسدي المُتعب .. سأظل كنغرا، أحمل أبنائي وأحتضنهم حتى أصل بهم إلى شاطئ الحياة، وسأتلقى "مناغشات "القدر معي بابتسامتي التي هي ثروتي بل سلاحي أمام جحافل من السخافات.

الجدار الرابع

تسكن بيتا فقيرا، جدرانه من حجر إلا من جدار واحد ضعيف، به الكثير من التشققات، متصدع لم تع هي أنه آيل للسقوط .. سينهار قريبا.
الزوج عليل لا حول له ولا قوة وهي القائمة على رعايته وأبنائه، لا مهنة ثابتة لها، أية فرصة لكسب النقود كانت تستغلها، تمسح سلالم العمارات لمن يطلبها، وأحيانا تقف بالإشارات لبيع المناديل الورقية، أو تخدم في البيوت المجاورة، تقوم بأعمال التنظيف فقط، فلا أحد يثق بها لكي تطبخ، ففقرها وملابسها المهترئة تُنفر الناس منها ومن أن تلمس طعامهم، لم تسع للخدمة في بيوت الأغنياء البعيدة عن منطقتها، فلابد أن تعمل بالقرب من بيتها لرعاية أبنائها الصغار وزوجها، إلى أن حانت لحظة الفراق بموت الزوج .. تركها مع حِمل ثقيل والوحدة وضياع الأمان.
وسقط الحائط الرابع المتصدع إلا من عدة حجارة دقت بها عدة مسامير لتعلق عليها ستارة

خاطتها من ملابس زوجها المتوفى لتقيها البرد والعين، أو تصورت هي ذلك، فالقماشة هينة كما بيت العنكبوت.. لا تقي من بردٍ ولا من فضول غريب .. لم يرحمها إنسان أو حتى حيوان .. من اكتشف غياب الجدار الرابع، تسلل متعديا على أحقيتها في الأمان والستر.

تتوالى الأيام ليختفي ابن بعد آخر وهي تصرخ وتتألم، وكلما زاد الوجع تنظر إلى الفضاء وتصرخ بسؤال : لماذا؟ لماذا؟

تسقط على الأرض وتحفر في مكانها كما القوارض محاولة أن تدفن صغيرها المتبقي من خمسة أطفال .. حياً!!

اتهمها الجيران بالجنون، ولكنها حين وارته التراب كانت تتصور أنها تخبئه من أولاد الحرام، تبعده عن مخالب الحياة، تحميه من ظلم العالم وقسوته وكفره .. لم تنتو قتله، طاردها الناس وهدموا باقي الجدران، لتموت هي تحتها وآخر ما نطقت به وهي تنظر نظرة مكسورة من امرأة متعبة إلى الفضاء وهي تردد السؤال نفسه :لماذا؟!!

لون قاتل

2011

نظرت إلى الشقة وكأنها تراها للمرة الأولى، هناك تشققات ببعض الأركان، والحمام في حاجة إلى كثير من الإصلاحات، والدهانات فقدت لونها فقد مر زمن طويل منذ آخر مرة جددت فيه الطلاء منذ أكثر من تسعة وعشرين عاما، فلقد أخذتها ضغوط وأعباء ومتطلبات أولادها واحتياجاتهم، فكان مستقبلهم وتعليمهم له الأولوية .

ميزانية البيوت المصرية يبتلعها تعليم الأولاد، ونلغي الكثير من المتع بل ونتنازل عن الكثير من حقوقنا وطموحاتنا الخاصة لأجل تعليمهم .. قررت أنه حان موعد تغيير الدهانات وعمل بعض الإصلاحات، فالانتقال إلى مسكن جديد رفاهية ليست في مقدرتهم .على الرغم من قصر ذات اليد إلا أنها تحتاج إلى لمسة جمال احتفالا باستكمال رسالتها مع أبنائها .. دخلت على الإنترنت وتابعت آخر صيحة في ألوان الدهانات ولاحظت الإقبال على الألوان الترابية

كالرماديات والأسود .. كيف تكون الجدران سوداء؟ !اعتدنا أن أكثر الألوان راحة للعين هي الأزرق والأبيض، رغم أنه لا يستهويني الأخير
وقفت تفكر في حيرة :ما لون الطلاء المناسب والذي يساير ذوق أولادي والموضة وتساءلت : لماذا لا يستهويني اللون الأبيض ولا الملاءات البيضاء ؟!
رغم أنها لم تقرأ يوما لأمل دنقل ليقترن لديها الأبيض بلون أسِرّة المستشفيات ولون الكفن، إلا أنها قالت الجملة نفسها :إنه لون الموت
ربما أيضا لأنه لون فاضح يكشف نظافتنا وتناقضنا، أما عن الأسود فرغم أنه ستار كما الليل لكنه لون الحزن في بلدي، لون يختفي خلفه الزاهد وتلقي به النساء على جسدها حين الموت، والتناقض الفج أنه أيضا لون الأناقة، نترتديه نحن النساء في المناسبات السعيدة .. يبدو أنه لون يتضمن ملخص الحياة؛ فالموت يختفي وراء كل لحظة سعيدة أو أنه يبتلع كل الألوان والمشاعر .. سأنتقي لوناً يجمع بين درجات الأخضر والوردي .. ألوان مشرقة .. ألوان حالمة تتناسق مع الاستقرار، ثم تتردد :

- لكنها ألوان تكشف العيوب والشروخات بالجدران، مازلت أعجب لميلي للرمادي رغم أن الناس تراه لونا بلا معنى .. فارغ المضمون، رغم أنه لون الشوارع، لون الحياة .. ليكن الرمادي، وسأضع هنا في أحد الأركان الشرقية بعض الياسمين والجوري الأحمر، فهنا تكثر الشقوق لعل الزهور تواري أو تخفي هذه التصدعات سيروق لأبنائي التغيير، رغم أن زوجي يميل إلى الثبات والإبقاء على كل شئ بمكانه، فهو لا يستهويه التغيير يعتبره تمردا على المشيئة وبطرا.

يرن الموبايل رنات متواصلة لتنتفض في خوف، انقبض قلبها، سمعت كثيرا عن الرابط الروحي بين الأم وأبنائها وتؤمن به وهي قد عاشته بالفعل حين سافر زوجها وصاحبه الابن الأصغر وكان عمره وقتها خمس سنوات، كانت بالمطبخ حين سمعت صوت ابنها يناديها" :ماما"، تستدير لترد على ندائه فتتذكر أنه مع أبيه بالبلد، يتكرر نداء ابنها فتردد" :بسم الله الرحمن الرحيم"، وكأنها تستنجد بالله ليحمي وليدها وتصمم أن تسافر، فزوجها لا يرد على التليفون مما زاد من قلقها وهاجس لا يفارق قلبها أن ابنها يعاني من خطبٍ

ما، بالفعل تسافر فتجد صغيرها جالسا على مصطبة خارج البيت صامتا، يجري إلى حضنها، تضع كفها على رأسه لتكتشف درجة حرارته المرتفعة جدا ولم ينتبه لحرارته أحد، فهو يلعب مع أبناء عمومته ولم ينتبه هو لأنه طفل لا يعي .. حمدت الله أنها سافرت وصدقت شعورها، يتكرر الأمر الآن، فصوت ابنها صدى، ونفس الشعور بداخلها يدفعها للنزول مسرعة، فصغيرها في أزمة، ترد على الموبايل، تجري مسرعة بملابس البيت وتأخذ) تاكسي (إلى القصر العيني لتجده ملفوفا في قماش أبيض وقد زين باللون الأحمر، إنه دمه الطاهر .. كان مبتسما وبجواره شباب كثر شاركوا في الثورة، كان مزيجاً من الألوان التي قتلتها.

***

العيب

تنام على فرش من صبار، على يمينها صوت موسيقى تهرب من راديو قديم إلى غرفتها كفراشات تتراقص حولها فرحا واحتفالا بلحظات سعادة تقتنصها من مجتمع يمارس ساديته تجاه الأرملة والمطلقة والتي فاتها قطار الزواج والضعفاء، لتنهض وجسدها يدمي، ليس لأنها ارتكبت خطيئة يرفضها الله، بل لخوفها من المتربص بكل سعادة، إنه قانون "العيب" الذي يعاند به المجتمع قانون السماء.

عليها أن تعيش حبها في السر، ترتكبه كما الجريمة في خفاء وألا يشهد على زواجها المجرّم إلا الله وغريبان، وعقد كتب على ورقة تخلو من أية شروط إلا اعتراف من الطرفين أنهما تزوجا وشاهدان لايعرفان عن الزوجين إلا الأسماء.

هكذا أراحها بتلك الورقة، فهو أيضا مطارد برفض من الزوجة ومن أبنائه الذين يرفعون في وجهه تهمة المراهقة المتأخرة، إن لم يكن سيتهم بالأنانية .

لقد منح أبناءه عمره وثروته، كذلك عاش مع زوجته أكثر من ثلاثين عاما لم يبخل عليها لا بصحته ولا وقته ولا ماله، ولم يتلق منها إلا التهكم والإهمال والاتهام المستمر له بالتقصير، وكلما حاول أن ينتقد إهمالها له كانت إجابتها التي تزيده هروبا منها :

- نحن كبرنا وكبر أولادنا، وعيب ما تطلبه (وهي تلتفح بإسدال الصلاة الذي لا تخلعه حتى عند النوم)

هكذا جمعتهما الرغبة في الاحتماء من المجتمع، والهروب من الأعباء، والتمسك بالحياة وبلحظات يسرقانها من عالمٍ دائما ما يرفع يده ملوحا بتهم هو من خلقها، لم ينزل بها الله .

اختارت أن تعيش عدة ساعات كل أسبوع بين أحضانه، تستمع إليه ويستمع إليها يرقصان سويا على أنغام الموسيقى، وكثيرا ما ينام في حضنها في صمت.

كانت الساعات القليلة لهما كما رحلة قصيرة إلى منتجع لتجديد النشاط، تساعدهما على مواصلة الحياة والعيش في مجتمع بمناخ خانق وعادات بعثت من جاهلية.

هل ترانا نلتقي ؟!

ارتدت عباءتها السوداء ووضعت إيشاربا أسود، أرادت بإلقائه على رأسها أن تختبئ من الكون، فبعد زواجها من رجل لا تُكن له أية مشاعر، لا رغبة لها في شئ، هو لها كما الكهف، اعتزلت به عن الحياة .. مالت على يد أمها تقبلها وهي تبكي، فلم تكن تتصور أنه سيأتي يوم تبتعد فيه عن حضنها وتنتقل إلى حياة لا تشاركها فيها أخواتها، أمسكت حقيبة السفر وخرجت إلى المطار لتغادر الحياة، هكذا اعتبرت سفرها مع زوجها .

بارك لها الزوج على غطاء رأسها الأسود وحمد الله على هدايتها، نظرت إليه وكانت تحدث نفسها" :أنا ارتديته هروبا من الناس ومن الحياة التي تم أقصائي منها حين تزوجتك .. "نظرت إلى أسرتها التي جاءت إلى المطار لتوديعهما واغرورقت عيناها بالدموع، وكانت نظراتها إليهم كلها توسل أن يمنعوها من السفر، بل ليتهم يمنعون هذه الزيجة .

أوجعها فراق أمها، هي التي لم تفارقها حتى في شهر العسل، تلك المرأة التي كانت أبا وأما لها ولأخواتها بعد أن هجرهم الأب لأن أمها زوجة لا تهبه إلا البنات .. لا ذكرى لها مع الرجال تسرها..

وصلت إلى البلد العربي واستلمت عملها كمعلمة لمادة علم النفس لطالبات ثانوي، وكان عملها المَنفذ الوحيد الذي تتنفس فيه هواء لا يشاركها فيه زوجها، كانت الطالبات قريبات من عمرها، فهي في الثانية والعشرين وهن ما بين السابعة عشر والثامنة عشر.

في أحد أيام الدراسة دخلت الفصل، أول من كانت تبحث عنه هي أروى، تلك الفتاة التي جذبتها وبدأت في شرح الدرس والنقاش مع البنات، لكنها كانت حزينة وتنظر إلى مكان "أروى"، شعرت بشئ من الوحدة بغيابها .. تسأل عنها فترد طالبة وهي تقاوم الضحك وتخفي فمها بيديها:

- أروى مريضة أستاذة

سألتها : ماذا يُضحكك؟

ردت الفتاة : لا شئ
انتهت الحصة ودخلت إلى غرفة المعلمات فوجدت صديقتها معلمة اللغة العربية وأخت أروى فسألتها عن صحة أختها..
-أختي تتعرض لأزمة نفسية لا أعرف سببها
أخذت رقم التليفون منها لكي تطمئن عليها قائلة لها : أختك من الطالبات المتميزات خلقا وعلما، بل وجمالا، وأنا أشعر في وجودها بالونس والسعادة.
عادت إلى بيتها تضغط على أزرار الهاتف، ومع كل ضغطة ينتفض قلبها وكأنها ستسمع صوت حبيب، ردت أروى التي كان صوتها يحمل حزنا زاده جاذبية، وأخبرتها المعلمة بأنها ستمر عليها في الغد بعد انتهاء اليوم الدراسي لزيارتها .
بدا على صوت أروى الانشراح، ففي الغد ستلقى معلمتها التي تُكن لها مشاعر لا تعرف معناها.
في اليوم التالي ذهبت لزيارة أروى، التي استقبلتها على الباب واحتضنتها في شوق، جرت قشعريرة في جسدها وشعرت بإحساس امرأة في

حضن حبيبها، لتتعجب كيف لم تشعر بتلك السعادة في حضن زوجها ؟!
جلست معها في الديوان الخاص بالضيوف ونظراتهما كانت هي المُحاور بينهما دون كلمة، لتكسر أروى هذا الصمت:
- أتعرفين أستاذة أنا أكتب الشعر وكتبت منذ مجيئك لبلدي الكثير أتمنى أن يروق لك
- حقيقي؟ أريني ما كتبت
تنهض أروى لتحضر أجندة وتعطيها للمعلمة، تقرأ أشعارا بها معاني اللوعة والاشتياق، بل والغيرة الشديدة .. كان أهم الأبيات المكتوبة والتي كانت تكررها بكل الصفحات:

هل ترانا نلتقي أم أنها
كانت اللقيا على أرض سراب؟
ثم ولت وتلاشى ظلها
واستحالت ذكريات للعذاب
هكذا يسأل قلبي كلما
طالت الأيام من بعد الغياب

- الله .. أشعارك واختيارك للكلمات رائع يا أروى، بداخلك كم من الحب والنقاء وموهبة رائعة، ستكونين أديبة .

بدا على وجه أروى الحزن وكأنها لم تسمع كلمات المديح التي ألقتها معلمتها

- ماذا؟ هل قلتُ شيئا مسيئا لك؟

- لا ولكن انتظرت أن تفهمي كلماتي وتسأليننني لمن أكتبها

- لمن تكتبينها؟

- لك .. منذ قدومك وأنا في حالة من السرور والراحة، أحب أن أتواجد في أي مكان تتواجدين به، بل وأشعر بالغيرة من البنات اللاتي يتحدثن عنك ويشاركوننني حبك

- ماهذا يا أروى؟!

نظرات الفتاة وكلماتها، والحميمية التي حاورتها بها أخذتها بعيدا .. كانت سعيدة ولكنها رافضة لهذه السعادة .. أنهت اللقاء سريعا بعد أن شجعتها على الرجوع قائلة : مكانك يشعر بالفراغ دونك أروى.

سُرت أروى بهذه الكلمات وكادت أن تقفز من السعادة، قبل أن تهم بالانصراف قالت أروى :

- جاءني خاطب وأنا رفضته .. لا أتصور أن أحب غيرك

انصرفت المعلمة وهي في حالة من الارتباك ومشاعر مختلطة ما بين الفرح والحب والرفض، رفض لهذه المشاعر التي كان يجب أن تكون لحبيب، هنا في هذا البلد تنفصل النساء عن الرجال، وفي سن المراهقة تنمو مشاعر وتظهر الحاجة إلى الحب والأليف، فتمنح الفتاة كل مشاعرها وطاقتها على الحب إلى صديقاتها وكذلك يفعل الولد فيحدث توجيه للمشاعر في الاتجاه الخاطئ، هكذا حللت هي ما تمر به أروى تجاهها من حب وانجذاب، لكن حب أروى لمعلمتها كان احتياجا وتعويضا، حب شفيف لم يتعد حدود الرغبة في التواجد معها والحديث عن الشعر، وكثيرا ما تطرق الحديث إلى النقاش في الدين والسياسة.

استطاعت أروى بتواجدها في حياة معلمتها أن تعوضها عن نفورها من زوجها وعن غربتها

عن أمها، وأكملت الفراغ في حياتها، فلا تفاهم بينها وبين الزوج الذي يتعامل معها كجسد لتفريغ شهوته فقط، فكانت تشيح بوجهها عنه حتى لا تلامس شفتاها شفتيه تاركة جسدها له كما مكعبات الثلج بين يديه.

هكذا جمع بين الطالبة والمعلمة البحث عن الحب في عالم يُحرم تلاقي الجنسين، ويشجع على التقريب بين أفراد الجنس الواحد فتظهر أزمات وأمراض .

يصرخ المجتمع ورجال الدين بأنها لعنة خلقها الشيطان ونفوس تلك الشخصيات المريضة، وتناسوا أنهم من مهد البيئة لتنمو وتنتشر تلك المشاعر وتتجه في مجرى خاطئ.

واجهت ****** زوجها برغبتها في الطلاق والعودة إلى وطنها بعد أن تنازلت عن كل حقوقها، ثم جلست مع أروى لتقوم بدورها معها كمعلمة لعلم النفس لتصحيح التواء ما أصاب مشاعرها، رفضت أن تسميه انحرافا ونصحتها بالتركيز في الانتهاء من الثانوية والاستعداد للالتحاق بالجامعة، وتحقيق حلمها في أن تكون

أديبة، وأن تفتح الباب للتحاور مع زملائها من طلبة الكلية لتسمع وتتناقش مع الجنس الآخر وتتيح لمشاعرها أن تتوجه في الطريق الصحيح ناصحة إياها:

- لابد أنك ستجدين حب حياتك الذي أبعدته عنك عادات وتقاليد لا تتناسق وما خلقت عليه الطبيعة من زوجية الجنس..

بكت أروى ورفضت النصيحة، ولكن بعد عدة أعوام تراسلت أروى مع معلمتها التي عادت إلى وطنها وأخبرتها أنها أحبت زميلا لها وأنها تستعد للزواج، وأنها أكملت تعليمها الجامعي وتستعد لعمل الدراسات العليا .. وأنها كتبت روايتها الأولى، وردت معلمتها بأنها هي أيضا التقت بحب حياتها وأنها تزوجت وأنجبت ابنتها "شمس"

****

زواج أعمى

هي فتاة من عائلة متوسطة مُحافظة، تتوسط ثلاثة أبناء، الأخ الكبير وهي ثم أخيها الأصغر، ونظرا لأنها الابنة الوحيدة فكانت تُعامل معاملة خاصة، فهي رغم التدليل إلا أنها لا تتحرك إلا ومعها أحد أخويها، وإن ذهبت لزيارة إحدى صديقاتها يقوم أحد أخويها بتوصيلها ثم يعود لأخذها، هكذا كان التعامل الأسري معها.

ارتدت الحجاب وهي بالصف السادس الابتدائي بعد أن شب جسدها وظهرت معالم الأنوثة مبكرا، الفتاة رغم صغر سنها تربت على الخوف من الله وطاعته وطاعة الوالدين .

انتهت سارة من شهادة الدبلوم الصناعي وتقدم لها عريس كان ملتزما وطيب الخلق فوافق الأب والأم وقالا : على خيرة الله، فهي قد اختارت أن تكون زوجة وأما، لا أحلام خاصة لها، إنها لا تؤمن بالعمل أو بحقها في تحقيق الذات .. تعتبرها عبارات جوفاء بلا معنى بل تسببت في

تخنيث المرأة، فصارت مسخا لا هي عاشت أنثى ولا تحولت إلى رجل.
لم يشترط الأب أية شروط تثقل كاهل العريس، بل ورفض كتابة مبلغ كبير كمؤخر إرضاءً لله، ولكنه أوصاه بأن يتقي الله في ابنته الوحيدة.
يقام زفاف بسيط بأحد الأندية ويأخذ العريس زوجته إلى بيته لإتمام البناء أو الدخلة، تكتشف الفتاة الكارثة بعد عدة أيام ومحاولات فاشلة .. تأتي الأسرة للمباركة، تدخل الأم إلى غرفة نوم ابنتها فتجدها تبكي .. تسألها :ما الأمر؟
تجيب العروس بأن العريس يعاني من العجز الكامل وأنها مازالت عذراء، تصاب الأم بالصدمة وتنادي على زوجها لتخبره بالكارثة، يخرج الأب والأم للجلوس مع العريس لمناقشة حالته ويتهمانه بالخداع، ويطلب الأب منه أن يعرض نفسه على متخصص، فيعترف الزوج بأن حالته لا علاج لها .. يطالبه الأب بأن يطلق ابنته، فيرد الزوج: وبماذا ستبرر للناس طلاق ابنتك بعد أيام من الزواج؟

يرد الأب : أنت خدعتنا سنخبر الناس بالحقيقة
العريس : وأنا سأنكر وسأتهم ابنتكم بأنها لم تكن عذراء.
قفز الأب غاضبا وأوشك أن يضربه لكن الأم منعته.
العريس : منعا للفضائح تقبلوا قضاء الله ولتعتبر مرضي قدرها وأنا لن أنقصها حقها في أي شئ سأعوضها ماليا وسأحقق لها كل ما تتمناه.
الخوف من الفضيحة أجبر الأب أن يتقبل كلمات العريس، ترك ابنته وانصرف.. تخرج العروس من غرفتها بحثاً عن أبيها وأمها، فتجد نفسها وحيدة مع زوج عاجز، تصرخ وتحاول الخروج من الشقة، يمنعها العريس ضاحكا ضحكة الفائز في مزاد لشراء جارية في سوق النساء.

حب عقيم

تأملت عينيه وكأنها تتعبد وكفاها في حضن كفيه، قال لها : سنقيم جنتنا أنت وأنا فقط،ستكون هنا.

ردت : الجنة عقيم .. فلا تناسل .. لا امتداد، وأنا أريد بيتاً يزدهر يوما إلى وطن.

استدار صامتا .. ورحل، انزوى إلى أجل مسمى ثم عاد.

سألته : لم الغياب؟ هل كان حلمي ثقيلا .. غائما؟

أجاب : أهواك حبيبتي .. غير أنك تطلبين مني شيئا لو تعلمين عظيم، وأنا المُحمل بأوزار جنسي بل عصري، وخطايا الأولين، وجينات قومي المحملة بالعجز .. إن كان حبك صدقا لنكمل حلمنا معا.

وحين ليلة منحها قبلة وقصيدة، وأعادت عليه رغبتها في استكمال حلمهما وإنزاله إلى الأرض، كانت إجابته : أمنحك الجنة

قالت مستنكرة : لا بل البيت ثم الوطن

أجاب : قدرتي أن أمنحك "قبلة وقصيدة والجنة"
ثالوثي الأعظم
سألته : والامتداد، البيت، الوطن، ثالوثي الخصيب؟
سكت وكانت عيناه تجيبان بدمعات كانت حبرا بلون صمته أسود :
- آسف حبيبتي

زحف التراب

ما هذا التراب الذي غطى جدران بيتي والصور التي بقيت بعد مغادرتهم؟! بل وسريري وأسِرّة أبنائي وكل محتويات الشقة؟ ما هذا؟ المرآة أيضا؟

منذ انشغالهم بحياتهم وقد غطى الصمت والتراب البيت، ظهري يؤلمني وأعصاب يدي لا تتحمل أن أقوم بتنظيف هذا الكم من التراب وحدي، سأبعث لأولادي أن يرسلوا لي أي بنت للتنظيف فأنا أعرف كم هم مشغولون.

إننا في فصل الربيع، فصل الجمال، حيث تتبرج الطبيعة بالشباب وتتأنق بالألوان، وكأن هناك من يلقي بالصبغات من فوق فيتحول التراب إلى زهور وألوان باذخة الجمال، رغم ذلك لا أدري من أين يأتي كل هذا التراب وكيف يصحب هذا الجمال عاصفة ورياح تحمل تحت أجنحتها الموت؟!

لم أعد أرى أي ملمح للألوان .. إنه فقط اللون الرمادي الثلجي، لون الشيب في رأسي العجوز، أين ذلك اللون الذهبي الذي كان معلقا كستارة على النافذة ؟! وأين تلك الستارة الخضراء التي كانت على نافذة غرفة أبنائي؟! بل أين الربيع ؟! لماذا يرافق الآخرين خارج جدراني ويتركني غارقة في عالمي بلا ألوان؟

هناك رائحة تغتصب الأكسجين من أنفي، إنها رائحة الغبار.

تنظر إلى الصورة الغائمة أمامها و تتساءل : من تلك السيدة ذات الوجه "المكرمش" التي تختبئ خلف المرآة ؟

ملامحها مطموسة، تُرى هل هي لدغات عقارب الساعة وتبدل الفصول على جسدي، أصابوا وجهي بالتيبس والأخاديد؟

أضاعت ساعات وأيام وسنوات في المراقبة، اكتفت بمشاهدة الناس

يغدون ويروحون، يحلمون، لم تمد يدها يوما لتغيير مكان فازة أو لتجمل قبح أحد الأركان أو

حتى مقاومة وحدتها لتسترد جزءا من حقها في المتعة، بل فقط مراقبة زحف التراب فوق كل ما يحيط بها فابتلع الألوان والعطور وامتص الحياة من الزهور التي تكسرت داخل بواتقها واخترق صدرها، فراحت تحته .

جاءت واحدة من بناتها لتزورها، فوجدتها تغط في النوم مغطاة بالتراب وقد أضاعت ما تبقى لها في التساؤلات و الرضوخ للغبار.

****

الرفيق

من هو؟ ماذا يريد مني؟ كيف يتسلل إلى حياتي بلا أدنى أثر وكأنه يرتدي قناع التخفي، أينما أولي وجهي يتبعني .. يطاردني بذلك الرداء الأسود..

كلما خطوت إليه قربا يتعملق طولا ليناطح السحاب، كأنه يعايرني بضآلتي .. لا أدري لم يبادلني التجاهل؟ كلما خطوت إلى الوراء بُعدا وخوفا يتضاءل هو رفضا، ماذا ينشد من إغوائي؟ كيف يتغذى على الظلمة؟

سمعنا عن جدتي أن العفاريت والجن تخشى النهار .. يقتلها النور، وهو يرافقني صباحا وبالليل .. ضحى وعصرا، فهو محب للشمس وعاشق لليل.

كاد ذات ليلة أن يبتلعني حين دنوت منه فضولا والقمر يطل من نافذتي على استحياء .خرجت أسامر القمر .. أناجيه فإذا به أمامي، فخلفي، فيميني، فيساري .. اقتربت أكثر فأكثر .. أنتفخ كما البالون .. فتح ذراعيه كما "دي راكولا "

ينشد دمي .. جلست أرضا يلفني الرعب كما كومة من بقايا إنسان، ليلتصق بالحائط أمامي ساكنا كما كرة من الهواء محترقة .. لا يحرك ساكنا .

في صمت أعطيته ظهري، فاستدار .. لملمت ما تبعثر من شجاعتي وقفزت إلى غرفتي، نظرت من جانب نافذتي .. ليتلاشى .. هو والقمر.

****

السير بمحاذاة القضبان

كما يحدث كل يوم استقلت المترو في طريقها إلى العمل .. القطار يجري مسرعاً فوق قضبانه، مسّيرا كما أغلب الأحداث في حياتنا، وهي في طريقها تتعثرعائدة إلى الوراء، وذكريات ممتلئة بضحكات وخطط صبية لبيت مُغلف بالحب معه.

لا تعلم لِم تذكرته الآن! إذا بصوت جاء مسافرا من بعيد مع القطار وكأن محطته كانت عند أذنيها .. يلقي عليها السلام .. والسلام هنا كلمة، والحق أنه قد سلبه منها يوما.

عاد ليكرر: مساء الخير ..

تنظر إليه صامتة تنتظر أن تفيق منه إن كان حلما أو تبرأ منه إن كان وهما .. نظرت إليه وكأنها تهبط بمظلة بسرعة، يصّعد قلبها للسماء

هي : مساء الخير

سألها : كيف أنت؟

سكتت، فالسؤال كان كما الصفعة على خد هدوئها .. فلم ترد..
كرر السؤال بصيغة أكثر صعوبة : هل أنت سعيدة ؟
واقتنص حقها في الرد قائلا :
_أتمنى أن تكوني كذلك
ظلت صامتة وبعض قطرات من الدموع تتسرب رغماً عنها زاحفة خجلاً من عينيها، نظر إليها وقد ألجمت دموعها لسانه، كم من سرادقات العزاء التي كانت ترتفع لتغطي الهدوء بعينيها، وفي لحظة يشع من بسمتها نور ومرقص فرحة، تمالكت نفسها وتشبثت بتلابيب كرامتها، وتجرعت كلمات كادت أن تفضح اشتياقها، وردت بصوتٍ متردد يخجل من كذبه : أنا بخير واستطردت بهمهمات لا تسمعها إلا هي :

- مازلت أتنفس العوادم، عوادم السيارة التي أقلته ذات غدرٍ إلى المطار باحثاً عن فرصة حظ لامتلاك أوراق نقدية، عوادم الزفير المتسارع من أنفاسه التي كانت تزغرد لسفره وبُعده

عنها، عوادم من حرق مذكرات جمعتهما منذ كانا طفلين يتغذيان على الأمل حتى المراهقة، حين كان يرسل إليها بأغنية عبر الموبايل تتغنى باشتياقه.

حياتها منذ مغادرته مملكتها أمسى غلافها الجوي معبئا بالعادة والسير الموازي للقضبان .

تنهض دون أن تنظر إليه وتهبط إلى الاتجاه المعاكس لقطاره، ويقف مُكتَّفا بالسكوت.

لحظة سعادة

من أين استمد الأمير قطز تلك القوة وهذا اليقين بحتمية النصر؟
مصر في أوج السقوط، بلا سلطان، جيش منهك، مفكك .. نجح في الصمود أمام التتار ليدير القدر الدفة، لا لضعف التتار، وليس من جحافل المصريين، بل هناك شئ ما أعظم، إنه اليقين في الله .. إيمان لم تشُبهُ شائبة نفاق .. ليكن بداخلك يقين بأن يديك سيقُها الله، قلبُك يخفق به، وأن جيشَك هو، سيكون النصر لك وإن كنت فئة قليلة .. هكذا أنهت مُعلمة التاريخ حصتها عن موقعة عين جالوت ..
انتهت الحصة ونزلت سعادة بعد انتهاء اليوم الدراسي، وفي طريقها إلى البيت كان بداخلها فخر، فهي حفيدة هؤلاء العظماء..
دخلت البيت .. نادت : ماما
- تعالي يا سَعادة أنا في غرفة الضيوف..

- دخلت لتجد خالتها .. رحبت بها ونظرت إلى أمها لتسألها عن الغداء، فردت الأم : سأنهض لأجهز لك الغداء حالا

لاحظت نبرة حزن في صوت أمها .. سألت خالتها: ما الأمر يا خالتي؟

- الله معنا يا ابنتي، "تحية" بائعة الأنابيب والمخدرات اشترت البيت وتسعى لطردنا، ونحن لا حيلة لنا، إلى الله المشتكى
- ماذا تقصدين؟ أليس هناك قانون؟ في حاجة اسمها المركز، اعملوا لها محضر، الشرطة دورها أن تحمينا من هذه البلطجية
- اسكتي يا أبنتي إنها إمرأة قادرة، وممكن تؤذيكم وأنتم في طريقكم للمدارس أو العمل .. هل هناك من يقدر عليها؟!
- نعم يا خالتي في ربنا
- ونعم بالله يا ابنتي .. وهل لنا غيره؟

قامت خالتها واستأذنت في الانصراف وهي مهمومة، تُحدث نفسها مستنجدة بالله قائلة :يا رب !!

في اليوم التالي ذهبت سَعادة إلى المدرسة، وبعد انتهاء اليوم الدراسي ذهبت إلى قسم الشرطة ..سألت عن الضابط المسئول، رحب بها و سألها :

- أي خدمة يا آنسة ؟
- أريد عمل محضر
- هل معك بطاقة ؟
- نعم انا عندي ستة عشر سنة وفي الصف الثاني الثانوي
- أها .. وفيمن ستعملين المحضر ولماذا؟
- في صاحبة البيت بتهددنا بالطرد .. وهي على فكرة تتاجر في المخدرات
- ما اسمها وعنوانها؟
- تحية

ثم أملت عليه عنوانها .

ابتسم الضابط قائلا : أنت جريئة جدا و شجاعة جدا حد التهور أيضا .. أتعرفين أنك أول فتاة، بل أول إنسان يجرؤ على الإبلاغ عن تحية من شارعكم ؟ كنا ننتظر ذلك، ولكن تعرفين كم إن الخوف مرتبط بالجهل.

تقديراً من الضابط واحتراما لشجاعتها وخوفا عليها من انتقام تحية ومن يساندها، وعدها أنه سيتخذ الإجراءات اللازمة لحمايتها وأسرتها وسرعة التحقيق في بلاغها .

بعد يومين سمعت صوت عِراك بين سيدتين في مدخل البيت وسمعت خالتها تنادي عليها : سعادة.

هبطت السلم لترى ماذا تريد خالتها

- نعم يا خالتي

نظرت، فإذا بتحية تاجرة المخدرات تقف أمامها سيدة بيضاء، سمينة، طويلة .. ترتدي جلابية بنصف كم، بصدر يتخذ شكلا مربعا بدانتيل .. تكشف عن صدر ممتلئ، وعن قوة، فهي ترتدي ملابس خفيفة والجو شتاء .. المقارنة بين سعادة الفتاة الصغيرة القصيرة ذات الجسد الضعيف لم تكن في صالحها ظاهريا .. تحية وهي تتربص بسعادة وتقترب منها محاولة إرهابها

- انت إذن البنت المفعوصة التي تجرأت وعملت لي محضرا وقلبت المركز علي وعلى زوجي؟
- نعم هي أنا .

قالتها سعادة وهي تنتفض رعبا، فصورة تحية وهي تمسك بشعر امرأة وتنطأها كما الكرة في وسط الشارع، والناس تشاهد كما مجموعة من المتفرجين على مصارعة حرة بلا نخوة ولا محاولة حتى لإيقاف تحية، لا تفارق ذهنها ولكنها تماسكت وبداخلها يقين أن الله هو جيشها.
نظرت تحية إلى سَعادة وصمتت ولم تنبس ببنت شفة، فقط اقتربت من سعادة وانحنت في وضع الركوع لكي تقترب من سعادة لتنظر في عينيها، ليحدث رد فعل من هذه السيدة لم تفهم البنت معناه، فلقد ابتسمت فقط وانصرفت.
ماذا كانت تعني نظرتها؟ ولماذا ابتسمت إليها؟ ولماذا لم تضربها وهي الفتوة وسعادة ضعيفة صغيرة لن تستطيع أن تقاومها ولن يتدخل أحد من الجيران أو حتى سكان البيت للدفاع عنها؟
اكتفت سَعادة بتفسير ذلك أن تحية خافت من الشرطة، الموقف كله لم يستغرق خمس دقائق ولكنها مرت بطيئة وكأنها ساعات.

احتضنتها الخالة، التي كانت تقف وهي ترتعد، كانت تراقب فقط سعادة وحمدت الله أنها نجت من أيدي تلك الظالمة.
صعدت سَعادة إلى شقتها ولحقت بها خالتها والجيران .. البعض يواسي الأم ويدعو لها ولابنتها بالفرج وأخريات ينظرن للفتاة نظرة فخر .
خرجت تحية لتلملم كرامتها التي أُهدرت على يد بنت من عمر ابنتها وأطاحت بأي امرأة تقابلها، أو حتى رجل وكأنها أرادت أن ترسل لسكان الشارع رسالة .. تقول: أنا تحية .. فتوة الحارة ومازلت.
بعد يومين من ذلك الصراع صحت سعادة على صوت شجارات وصراخ وناس تهرول في الشارع سألت امها: ماما ماذا حدث ؟ زلزال؟
لا ولكن شيئاً غريبا يدور بالشارع، حوارات عن أن عددا كبيرا من الشباب توجهوا إلى قسم الشرطة لعمل محاضر وأفصحوا عن كل أسرار تلك السيدة، مما شجع الجميع على التحرك نحو

بيتها وصمموا على طردها هي وزوجها، أو تسليمها إلى الشرطة.
في هذه اللحظة يحدث شجار بين تلك الفتوة وبعض الشباب لتدخل على أثره لتحضر بوتوجازا بشعلة واحدة وتشعل به النار مهددة المنطقة، ليحدث انفجار رهيب، انفجر البوتوجاز في بيت تحية تاجرة المخدرات.
يصرخ الجميع ويهربون من أمام بيتها، ويخرج من التجمع الثائر ضد تحية بعض الرجال محاولين إنقاذها وابنتها .. نظرت سعادة من النافذة لترى تحية يحملها شابان ووجهها محترق وملابسها، وكفها يتساقط منه اللحم .. العجيب أنها مازالت تشتم وتهدد الجميع وتتوعدهم، جبروتها وغرورها أفقدها الإحساس بالحرائق التي ألمت بجسدها، وبعدها خرج رجل يحمل ابنتها التي كانت في عمر سعادة، رغم كل ما مر بسعادة وأسرتها إلا أنها بكت تحية وابنتها حين عرفت بموتهما.

أنثى من فولاذ

تقف أمام المرآة تضع آخر لمسة بقلم أحمر الشفاة، تمسك بصدر الفستان لتضبط فتحة الصدر التي تحتضن صدرها العاصي على القيد، تبتسم في رضا، تمسك بحقيبتها السوداء المرصعة بفصوص تلمع كما النجوم وتهبط إلى الحفل، الذي دعتها إليه ابنة عمها، التي قفزت إلى عالم النجومية سريعا لجمالها وموهبتها .. أرادت أن تُرفه عنها بعد طلاقها من زوجها، الذي نهب مالها وتركها تعض أناملها حسرةً على حبٍّ كاذبٍ دفعت ثمنه كرامتها وثروتها.
تخطو بقدميها إلى الفندق لتلفت نظر الجميع إليها، تلحق بها ابنة العم مرحبة وتقدمها إلى أصدقائها من فنانين ومخرجين .. أبهرت الجميع بصوتها الجميل المُغلف بأنوثة طاغية، وجسد نُحت بإتقان، كما وأنها فينوس دبت فيها الروح، يصهر كل من يمد يده إليها بالسلام.

تلقت عروضاً للتمثيل والإعلانات، وجمعت في حقيبتها عددا من الكروت من أغلب الحضور، عادت من الحفل، وقد قررت أن تسترد ثروتها وقلبها الذي دهسه زوجها قبل أن يلقي بوجهها الطلاق.

أمسكت بأهم كارت، كان لإحدى الشخصيات العامة ، يدرج اسم صاحبه ضمن أسماء الصف الأول في الدولة، رنت رقمه ليجيب: أهلا بكولومبيا الشرق!

ترد بضحكة ترقص على نغماتها فتيات الباليه، تطول المحادثة حتى تنتقل إلى قص معاناتها مع زوج خائن، ثم تقحم اسم عائلة زوجها وبلاغها عنهم أنهم متهربون من الضرائب التي هي حق الوطن، فيشكر وطنيتها، وتتوالى الكوارث التي تلحق بطليقها وأهله.

تمسك بالكارت الثاني، ثم الثالث، فتتسع علاقاتها ويزيد نفوذها، والثمن جسدها، لم تشعر بأي ندم، هي التي وهبت جسدها لزوج أحبته وأخلصت له، فما كان منه إلا الغدر والتخلي، الآن هي

تمنح جسدها مقابل خدمات ومكاسب بل وسلطة.
نجحت في وقت قصير أن تتقدم سيدات المجتمع الراقي، تظهر في برامج تلفزيونية متحدثة عن حقوق المرأة ومستشارة للتنمية البشرية، بل وأحيانا كسيدة أعمال ناجحة إلى أن يصل لأحد كبار مسئولي الدولة معلومات عن فساد بعض كبار رجالها، ودائما ما يذكر اسمها وسط هذه المعلومات، ويتم مراقبة التليفونات ليسجل لها مكالمات تطلب فيها عمولات ورشاوى، وكذلك تسهيل إجراءات لأسماء عديدة لشغل مناصب مهمة مقابل تبادل للمصالح، تلك التسجيلات التي أوقعت بأسماء العديد من كبار المسئولين لتتم محاسبتهم بمجلس النواب.
تتصدر تلك الفضائح الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات، تنتهي المحاكمات بعزل أسماء كبيرة وانتحار أحدهم.
تعلم بعد ذلك أن من كان وراء فضح علاقاتها هم أهل زوجها، فقد أخذها الغرور أنها تناست

أن زوجها وأهله مؤسسات راسخة لا يجوز اللعب معهم.

وفي إحدى جلسات التحقيق التي تم نشر أحداثها بإحدى المجلات الكبرى :

- كيف تمكنت من الإيقاع بكل هذه الأسماء؟

أجابت : مالي أنا إذا كان الرجال يفقدون عقولهم حين يصلون لمتوسط العمر، ويقعون في شباك جمالي، ويركعون لي.

تتمكن من الخروج بكفالة كبيرة يقوم أحد الحمقى بدفعها، وبعد وقت قصير نجد "مانشيت" بكل الصحف: "هروب سيدة أعمال إلى الخارج وقد سبقتها مليارات"، ثم تعود بعد عدة سنوات ليست طويلة، لتلمع ثانية، وتقيم مشروعها الأعظم، قناة تليفزيونية وشركة إنتاج سينمائية وجريدة تتحدث عن حقوق الفقراء ومحاربة الفساد.

إنسان مختلف

خرجت من غرفة العمليات، فحصها الطبيب الجراح للاطمئنان عليها بعد الإفاقة:
- كيف أنتِ الآن ؟ حمدا لله على السلامة.
- الحمد لله، ألم بسيط.
- طبيعي، لا تقلقي، كل شئ سيتحسن تدريجيا، المهم أن تكون قويا وتساعدنا في متابعة الحالة، أقصد قوية وتساعدينا .. أعتذر.
"لم يكن الطبيب وحده الذي يخطئ في استخدام الضمائر المناسبة في التعامل معي، حتى أنا لوقت قريب لم أكن أعرف هويتي"
- لا يهم يا دكتور، أنا هنا لأصحح هذا الخطأ الذي لا ذنب لي فيه.
الطبيب : سنحتاج لعملية بسيطة أخرى بعد كام شهر.
- تمام يا دكتور أشكرك
عادت "نسرين"، إنه الاسم الذي اختارته لنفسها، "إلى البيت لتجد أمها ترتدي الأسود وتبكي
- ماما وبعدين؟!

- بعدين ؟ بعدك العار والفضيحة، منك لله ماكانش ربنا خدك أرحم؟
تدخل "نسرين" غرفتها باكية وتعود بذاكرتها إلى الطفولة..
كانت ولدا منطويا، يجد نفسه غريبا بين الأولاد، يخافهم وشديد الخجل، ينزوي دوما .. كلما سنحت له الفرصة، يفضل التواجد بين الفتيات، يتأمل فساتينهن وتسريحتهن، ينجذب إليهن ويسأل عن نوع التوكة واسم التسريحة .
وفي مرحلة الإعدادي والثانوي، وهي مرحلة المراهقة، كم كانت معاناته ورغبته في الغياب من المدرسة هروبا من الاختلاط بالشباب خوفاً ورهبة .. ولشعوره الغريب بالإثارة كلما اقترب من زميل له يستهويه..
تعرض لآلام شهرية، وكانت تراوده مشاعر لا يجد لها تفسيرا فلجأ للقراءة لعله يجد إجابة لما يمر به.
لجأ إلى الاتصال تليفونيا بالمشايخ طالبا العون، ليجد اللوم واللعن لهذه الميول، ومن ينهره بضرورة تقويم نفسه والتوبة.

زاد انطواؤه ورفضه لنفسه .. طلب من أبيه أن يعرضه على طبيب متخصص، فما كان من الأب إلا السب والشتم والزجر واتهامه بالضلال والانحراف، وأنه سيُلحق بأسرته اللعنة، حتى إنه قام بحبسه في غرفته أياما طويلة، فاضطر للكذب وادعاء أنه تاب وعلم أنه كان ضالا، فصدقه الأب أملا في عودته إلى صوابه .. خرج ليواصل تعليمه الجامعي كطالب بكلية الآداب قسم علم نفس، وقد انتقى القسم الذي قد يجد فيه الإجابات على تساؤلاته .

واصل قراءاته بمكتبة الجامعة، وقرر بينه وبين نفسه أن يكتشف من هو .. اقتصد من مصروفه مبلغا لا بأس به واتجه إلى عيادة أحد الأطباء المتخصصين، ليطلب منه الطبيب عددا من التحاليل والأشعة ليكتشف أنه واحد من .. (INTERSEXUAI) يشعر بشئ من السعادة، فنصف العلاج في التشخيص السليم .. هو لم يكن منحرفا ولا ضالا بل فقط وُلد مختلفا.

يعود ومعه نتيجة التحاليل والأشعة وتشخيص حالته، ويطلب من والده أن يصحبه إلى الطبيب.
يحاول الطبيب شرح حالة الأبن فيزداد تعصب الأب، ويطلب من الطبيب أن يثني ابنه عن قراره وأن يظل ذكرا، فكم كان ينتظر أن يكون له ولد يحمل اسمه ويكون سنده حين الشيخوخة .
يواجه الطبيب الأب ويتهمه بالأنانية، فكيف تطغى رغباته على ما أراده الله وما فيه مصلحة ابنه النفسية والمستقبلية.
يعود الأب وقد قرر حبس ابنه مُخيرا إياه إما أن يعود إلى رشده أو يموت.
يتصل بأحد أعمامه القريبين إليه في السن مُستنجدا به، يأتي العم فيصحبه إلى بيته واعدا الأب بأنه سيقنعه بما فيه صالحه.
يقنعه العم بضرورة تأجيل أي قرارات حتى ينتهي من كليته، وعندئذ سيكون حرا. يستمع إلى نصيحة العم وينتهي من كليته بتقدير جيد جدا، ويجد فرصة عمل بإحدى المدارس الخاصة ويقرر الإدخار ليكمل تحقيق حلمه .. يذهب

وحيدا إلى غرفة العمليات ويجري جراحة تصحيح، كما أسماها، وليست تحويل، ليصبح نسرين.
تكمل نسرين إجراءات تغيير البطاقة وتعديل اسمها في المؤهل، وكم من الانتقادات والسخرية تعرضت لها طوال مسيرتها لتكون إنسانا طبيعيا تعيش أنوثتها كما مثيلاتها من البنات.
(نحن نرفض الاختلاف، نطلق ألفاظا لا نعي مدى فظاظتها ولا مدى تأثيرها الاقصائي على كل متفرد .. المتفرد إبداعا، جنسا، لونا أو عقلا)
تعرضت نسرين لإرهاب وتنمر في العمل والحياة، حتى حين أحبت. لقد أحب أدبها وانبهر بثقافتها وكم الحب المكتنز بصدرها تجاهه، وأقبل ذلك الشاب على خطوة الزواج، أخبره الجيران أن نسرين شاب منحرف، فاختفي حبيبها واختفت نقطة النور في حياتها دون حتى اعتذار.
كلما توجهت إلى عمل ونجحت به ما يلبث أن ينفجر بركان الفضول والأسئلة السخيفة، هل أنتِ في الأصل رجل؟ هل أنت(هوموسيكشوال)؟ اتهامات طاردتها أينما ذهبت .. كل ما أرادته أن

تعيش كما خُلقت "إنسان" .. أن تعيش في سلام.
كم حُبست في غرفتها من قبل أبيها خوفا من الفضيحة!! اليوم قررت أن تحبس نفسها بغرفتها بعيدا عن الجميع.

استيقظ الأب على صوت صراخها، يفتح غرفتها ليجدها تلطم خدودها وتشد شعرها ولا تتوقف عن الصراخ، يأخذها الأب إلى الطبيب المسئول عن جراحتها لينصحه بعرضها على طبيب نفسي، والذي بدوره ينصح بحجزها عدة أيام لحين تنتهي من أزمتها النفسية.

تصحبها الممرضة ويصل إلى مسامعها صوت دعاء أبيها عليها بالموت، تنظر إليه باكية، فهو الحضن الذي كانت تأمل أن يكون ملجأ لها من هجوم المجتمع ومخالبه التي مزقت حريتها وجسدها وروحها.

في الصباح فتحت الممرضة باب غرفتها، فهو موعد الإفطار وجرعة الدواء، لتجد نسرين نائمة وعلى شفتيها ابتسامة ودمعة جفت على خدها .. نامت نومة لا يقظة بعدها، حققت لأبيها أمنيته الأخيرة وانتحرت.

الاعتراف

تدخل الكنيسة سيدة ممشوقة القوام، متوسطة الطول، قمحية اللون، ترتدي (تايير) أسود ونظارة شمسية سوداء وقد ألقت على رأسها إيشارب شيفون أسود، وكأنها تستتر من أعين زوار الكنيسة حتى لا يتعرف عليها أحد .. هي تخاف من شئ ما.

جلست على كرسي الاعتراف .. بدا عليها في البداية التردد في الكلام حتى إنها قامت رغبة في الهروب فمنعها صوت الكاهن :

- اطمئني ابنتي .. الله محبة وكلنا خطاه وباب الرب مفتوح للجميع مهما كانت نوع الخطيئة.

بدأت في الكلام، فالحِمل فوق صدرها كما الجبل تتمنى أن تزيحه لكي تتنفس الحرية ويخلد ضميرها إلى الراحة.

- إلى أين تذهب؟

- عندي صفقة بالإسكندرية مهمة سأغيب يومين

- سأذهب معك .. أشعر بالوحدة والملل

- لا أتحمل ميوعتك، أنا عندي الكثير من العمل هافضي نفسي يوم ونسافر سوا
- يوم؟ ولماذا تظلم نفسك؟!
- بدأنا النكد .. عاوز أنام .. أنا مرهق ولا أتحمل سخافاتك
- متى ستسافر؟
- غدا

لاحظت بيده زجاجة خمر غالية الثمن خبأها في حقيبة السفر، ثم دخل إلى غرفته وهي واقفة في وسط الصالة تنهشها الغيرة والوحدة ..
إنها تعلم جيدا أنه يخونها مع تلك السيدة التي قلبت حياته منذ التحقت بالعمل بشركته، كثيرا ما كانت نظراته لها تلاحقها بانبهار وأينما ذهبت يتواجد، يتحجج بعشرات الحجج ليلتقي بها .. لن تنسى يوم أن ضبطته بمكتبه راكعاً أمام ساقيها يتوسل إليها أن تشعر به وبحبه، وكثيرا ما ضبطت رسائله الهائمة إليها على الواتس آب وردودها العاشقة له والمتمنعة في دلال، إنها إشارات ترسلها الأنثى لكي تجذبه إليها وتتمكن

منه .. بحثت عنها وسألت وعلمت بتجاربها العديدة مع أصحاب شركات أخرى، وأنها تخصصت في الإيقاع بهم، هذه الشركة كانت برأسمالها هي وميراثها عن والدها الذي منحته إلى زوجها عن رضا وحب وثقة، لم يخطر ببالها أنه سيغدر بها وتنقلب مشاعره وتتحول معاملته لها إلى معاملة سيد بعبد، وإهماله وإهاناته المتكررة .. حاولت أن تحمي بيتها وزوجها من هذه المرأة بأن طلبت من بعض المقربين التدخل بنصحه، فأنكر كل ذلك وتكبر على النصح .. عدلت من نفسها لتكون أكثر جمالا وجاذبية؛ فارتادت مراكز التجميل والجيم لتستعيده بلا فائدة .. اختفى الكثير من قطع مجوهراتها ورأت واحدة منها في رقبتها وحين واجهته كان مبرره : هل من نحت عقدا لكِ لم ينحت غيره؟ اعقلي.

وفي يوم تصاعدت وتيرة الخلاف بينهما فصفعها وهددها بالطرد من البيت وحياته، وحين طالبته بميراثها كان رده : الشركة قامت على أكتافي وبسهري وعقلي، ولقد أخذت ميراثك عشرات

المرات مجوهرات وشقة باسمك وسيارة، اشكري ربنا على ما أنت فيه .. أنت لست امرأة، حتى أنك فشلت أن تكوني أما، حرمتيني من أن أكون أبا.. لقد تزوجت برحم مُتصحر أرضه جدباء، إياك أن تقفي أمامي موقف القاضي والمحاسب، كوني سيدة عاقلة وتقبلي حياتك والنعم الكثيرة التي منحتها لك.

كيف تحول الرجل الذي تزوجته إلى هذا الكائن الشيطاني؟! لم كل هذا الكم من الكراهية لي ولجسدي ورحمي؟ الرب يهب ويحرم لا نحن من نختار .. كيف يعاقبني على كوني إنسان لاحول لي ولا قوة، لست أنا الرب .. هل أنا من اختارت أن تكون عقيم؟!

لقد نجح في أن يجد حياة بديلة له وانشغل في نجاحه وتركني للوحدة .. ليلة يقضيها مع تلك المرأة وليلة مع الخمر ومكالمات لا تنقطع معها، دمر سعادتي وحرمني حتى من الحلم به وبذكرياتنا معا.

أمسكت بزجاجة الخمر، صبت لها كأسا تجرعته بصعوبة كأنها تتجرع دواءً مرا ..تعمدت أن

تتناول كأسا حتى لا يشك حين يرى غلاف الزجاجة قد نزع عنها، ثم فتحت زجاجة صغيرة وصبت ما بها في زجاجة الخمر وأغلقتها جيدا، وأمسكت بمناديل ورقية ومسحت آثار يديها من على الزجاجة ثم وضعتها في حقيبة السفر التي يأخذها معه، ودخلت غرفة أخرى ونامت .. في الصباح ودعته وأخبرته أنها أخذت قليلا من خمره وأعادت الزجاجة واعتذرت له عن فعلتها ..لم يرد عليها بل حتى لم يلتفت إليها ليودعها، اكتفى بهز رأسه والانصراف تاركا إياها كما وإنها تلاشت في الهواء.

في الليل اتصلت بأحد أصدقائها في الشركة وسألته عن تلك السيدة، فكان الرد أنها سافرت مع زوجها إلى الساحل.

جلست على كرسي بالصالة مطعونة في أنوثتها ولا تشعر إلا بالغضب والرغبة في عدالة السماء.

في اليوم التالي تسمع جرس الموبايل، ترد لتسمع خبر انتقال زوجها إلى إحدى المستشفيات

بالساحل مفارقا للحياة، وكانت بصحبته امرأة تم القبض عليها والتحفظ عليها بقسم الشرطة.
تسرع بالسفر وترى جسده مسجى بثلاجة الموتى. بكته . لا تدري إن كانت تبكي ضياعه من بين يديها أم من ضياع سنوات شبابها في وهم أنه أحبها؟
ربما بكت حبها له وإخلاصها الذي قابله الجحود والغدر، بكت عمرها وبكت سعادتها التي ودعتها إلى مثواها الأخير.
بعد بضعة شهور تذهب إلى المحكمة لتسمع الحكم على من سرقت حياتها وقتلت زوجها المحب واستبداله بشيطان مريد .. جلست بنظارتها السوداء تسمع المحاكمة لينتهي الأمر بنقل أوراق غريمتها إلى المفتي، تنسحب في هدوء، تلتفت إلى تلك السيدة في قفص الاتهام وقد انهارت ولا صوت لها من الصراخ بكونها بريئة، وأنها لم تقتله وأن العقد المضبوط معها كان هدية من القتيل لها.
لم تستطع أن توقف شلال دموعها، حاولت أن تتماسك لتدافع عن نفسها:

- لقد قتلني حية .. حولني إلى كائن بلا هوية كما الأحدب يتسول لمسة حب أو نظرة شفقة...
من القاتل أبونا ؟ أنا أم هما ؟!غريمتي عاهرة دمرت عشرات البيوت، وخربت عشرات العلاقات، وقتلت العشرات من السيدات، قل لي إنهما نالا ما يستحقان .. أما عني فلقد نجح زوجي في قتلي مرتين : مرة وهو حي، والثانية حين قتلته .. استراح هو وتركني للموت الذي يتقاذفني كل يوم.

ألقت بآثامها على أذن البابا وتركته في حالة من التمزق، فلقد اعتاد على الاعترافات لخطايا تمت أما هذه الحالة فهناك روح ستعدم ظلما .. تستغيث، خرجت من الكنيسة كما دخلتها .. فلم يمنحها سكينة الغفران.

****

وجها العملة

وكانت أمي تتلوى حبا، تتضور رحمة ونحن عطشى أمنًا، وأبونا دأب على قضم التفاح حلالا كان أم حراما .. تذوق من النساء البيضاء والسمراء، الطويلة والقصيرة، الخادمة والهانم، والبرد يخربش أجسادنا التي لفظها الكتان والقطن، وبطوننا بسبعة أرواح كما القطط لا تكف عن المواء نهارا أو بالليل، مقعرة العينين، تحك مخالبها، تسن أسنانها لقضم الهواء، وخواء الماعون، وحين كبرت كان صدى الحب يتسرب إلى قلبي خلسة وخجلا من فاقتي، أكتفي بأن أقف مشدوهة، فالحب قطعة حُلي تتجمل بها الفتيات مع حقيبة أنثوية، أما حقيبتي فمليئة بالخروقات، برحم مختنق كما بسمتي، تجهض أية نقطة ضوء تحاول أن تشب لتصير شمسا تنير الكون، والنهار بين عيني شحيح.

هكذا راحت أمي تتعارك مع الغروب على الرحيل قبله .. لقد" أيست" من الشبع، لقد راحت

بلا إنذار مسبق وقد أفرغت أعيننا من الدموع، ولكن على وعدنا معها ألا نفترق أنا وأخي حتى بالموت...

والتحمت بجزء من قلبها، أخي، كما قطعة نقدية، نحن وجهان بمعدن واحد، معدن أصقله الصقيع والحر فكانت كما الماس صلدًا لا يُكسر

..واجهنا الفقر وقسوة البشر وعيون متربصة للانقضاض علينا .. وصلت بأخي إلى بر الحياة وتذوقنا الطعام والسعادة، وهناك في أحد الأركان الراقية ببيتنا، أمي مبتسمة تفوح من عينيها روائح الجنة والسلام التي تدلنا على الطريق.

أحلام فتاة عشرينية

الأحد، بداية أسبوع مشحون بالواجبات، خرجت مسرعة جسديا، متكاسلة نفسيا، فضلت - لكسر أختناق الطريق من البشر والمركبات التي تشغي بالشوارع كما وإنها خنافس أطلقها الحر من مخابئها فشكلت لوحة تقبض النفس - أن أتقمص دور سائحة تشاهد هذه البلدة لأول مرة، على يمين الطريق مدرسة أُحيطت باستعدادات أمنية وسرادقات لاستقبال الناخبين، وعلى طول الطريق (بنرات) صور لرئيس محتمل .. ونيجاتيف لآخر مختل الرأس، أما عن المارة فهم لا يبالون، فقد أنهكتهم لعبة السياسة فقطعت أنفاسهم وجيوبهم، أدركوا بحسهم المتوارث أنها مباراة لا تسمن ولا تغني من جوع، قرروا أن يتعاملوا مع الأحداث كما النميمة التي تؤدي إلى جهنم أعوذ بالله، وآثروا التجاهل واللامبالاة، وهي رفقة صالحة في هذه الحالات ولم تخِب معهم يوما .

وهناك - بين مارة يلتصقون بجسدي - حوارات جانبية عن الدروس الخصوصية وأسعار الكتب الخارجية والحقيبة المدرسية، ودخل محمد صلاح وأبو تريكة، وسُعار اللحوم، وكيف أنه لطبخ حلة محشي لابد أن تدفع الثمن صوما لآخر الشهر .. وكنت بينهم أتساءل : هل للسماء عينان لترى ما يدور بتلك البقعة من الأرض ؟! هل تقضم على أصابعها غيظا من أمثلة شعبية مغرقة وأغاني "شعبوية" مهلكة؟!

هل رأت - كما رأيت أنا - هؤلاء البؤساء المفترشين الأرصفة وإعلانات تظهر بشكل مستفز فوق الكباري والتلفاز " لكمبودنات "لمجمعات سكنية حصرية للأثرياء وبعدها بلحظات إعلانات للتبرع والتصدق والتزكي لمشفى للسرطان والكبد؟!

أدخل المدرسة لأستهل اليوم باجتماع لمدرسي وموظفي المدرسة، وكلمة المدير عن حاجة المدرسة إلى أدراج جديدة وإصلاحات لمرافق المدرسة، وعجز بالميزانية وضرورة أن تتبرع هيئة المعلمين لأجل أبنائنا.

أما عن المعلمين فهم يكتمون صرخة ونيَّة مُبيتة عند بعضهم لرفع سعر الدروس الخصوصية لتعويض تلك المستقطعات، أما أنا فأقبع هناك بإحدى محطات السكة الحديد أو ربما بأحد المطارات، أنتظره بعينيه العسليتين، ووجهه المغسول بالشمس المُدجج بالدفء، أو ربما أسير مرتدية تنورتي الكحلية القصيرة ذات الفتحة من اليسار، وعيني زيتونة اللون كما نبت أرض سيناء المُعبدة بدم الشهيد، فأنا بالصف الثاني الثانوي، بداخلي أحلام ربيعية مزهرة دوما أرويها بقصص لعبد الحميد جودة السحار، وعبد الحليم عبدالله، وإحسان عبد القدوس، ونزار، ومدينة فاضلة كتبها شيخ كان يحلم بأرض كل من فيها حواريو المسيح، وابتسامتي لا تغيب، وشوق وترقب لفارس الاحلام الذي أُعدل في صورته كل يوم أحيانا اسمر طويل أسود الشعر، بغمازة تتحرش بالحلم .. وأحيانا أخضر العينين، قوي البنية، أسمر، ثائر، حالم يعي ويغير الحلم بيديه، دون أن ترتعش ريشته، وفخر مستحق بصلاح الدين والفاروق، وتاريخ كما النهر يفيض بأسماء لا تنضب.

لماذا أعود إلى البارحة في رحلة دائمة عنيدة، وأركل اليوم جانبا .. مازلت أنتَ أجمل ما في اليوم.
قبل النزول لمعركة الحياة نظرت إلى مرآتي لعلي أتعرف على تلك المختبئة وراء زجاجها ..أم وحيدة في قلبها وروحها أبناء، وحفرتان تحت العيون جفتا من مغادرة الصبا والدموع التي تخاف أن تزور عينيها الصامدتين، ووجه مازالت النضارة ضيفا عليه، وترهل لطيف بالرقبة والحلم.
أعرف هذه المرأة غير أني أفضل أن أتحاشى زيارتها، وأغادرها إلى تلك الفتاة العشرينية المُحملة بالحلم والرفض وكم لاءات لكل عطب، وغياب أمي ليس موتا بل هي نائمة كعادتها تنتظر عودتي وإخوتي من المدرسة لنجتمع على طبلية الغداء.

حب أون لاين

جلس بأحد أركان كافيه في أحد المطارات العربية يحتسي كوبا من عصير الليمون بالنعناع، بيده (الآي باد) يتصفح آخر الرسائل، فهو قد أدمن الأسر التي خلقها على الهواء والأصدقاء وبينزنس وغيره، حتى التسوق يقوم به عبر الفضاء "النت."

للحظات راح في جولة إلى الشهر الماضي، وكيف التقى بتلك الفتاة ذات العيون الزرقاء والشعر المرسل الأشقر، وبشرتها البرونزية من مصافحة الشمس لجسدها بعد حمام متحرر من الجدران والملابس .. تعجب من شعرها المجدول رغم نعومته فسألها أن تطلق له الحرية، أجابت :

- أنتظر من يحل جدائلي بيديه، ليحتضن شعري كتفه والهواء ونتقاسم معا جسدا واحدا.

تبادلا الرسائل والقصائد والوعود المؤجلة مع حمائم الغد، انبهر بها وبحلمها الغريب، الأنيق،

وتمنى أن يكون ذلك الشريك، حتى ظهرت تلك الفتاة .. جمال هادئ، عيناها بلون مراع هولندية، وشعر كستنائي بلون الشرق تعقده كذيل الحصان .. كلامها قليل في عيون تكتنز حزنا، فجذبه إليها أكثر .. أخذت منه حيزا ووقتا أطول من المعتاد في التفكير .. سألها : هل تنتظرين من يفك لك عقدة شعرك؟!

أجابت : أنتظر الشجاعة لأن أتخذ القرار بحلق شعري واستبدال عباءتي بجناحين لأحلق إلى السماء كي أشد أحلامي وأجد لها أرضا خصيبة انتظرت الشقراء - ذات العيون الزرقاء لون السماء في الشمال - رسالة منه لكنه كان متخبطا مترددا، وانتظر هو تلك المتمردة ذات الحلم المتجرد من الضفيرة، لكنها غابت .. فجأة فتش عن الرسائل ليجد بريده خاوٍ، وبقي الصداع، غُرس برأسه يلهو فيه كطفل أحمق شقي ليصحو على يديه الخاويتين إلا من كوب عصير و(آي باد) أخرس وإعلانات التسوق .. ومن بعيد صوت يعلن عن موعد مغادرة طائرته إلى وجهته الجديدة.

طلاق مع وقف التنفيذ

صمد معها حتى انتهاء الرسالة، فقد ألجمت حريته بجنونها لأن يكون لديها ابنة وكأنها تحارب السماء التي منحتها أربعة من الصبيان، فجنت وزادت عصبيتها وتعمدها إهمال البيت والصبيان وكأنها تعاقبني والسماء، وكل حَمل وولادة تكلفني الآلاف من الجنيهات؛ فهي ترفض الولادة الطبيعية وتصمم أن تلد قيصريًا .. هكذا كلفني مجئ أولادي إلى الدنيا، أعصابي ومالي ووقتي، فتقصيرها وإهمالها لهم دفعني إلى أن أكون البديل لها لرعايتهم وتعويض جحود الأم ..

ولم تفقد الأمل في أن تأتي بالبنت، وبالفعل جاءت ابنتي الجميلة .. أنا لم أرفض ولم أعاند قدري أو رغبتها فأنا أحب أولادي، لكنها تمادت في التمييز بين أولادها الأربعة والأبنة التي كانت تعاملها وكأنها سيدتها الآمرة.

تفاقمت الخلافات بيننا، ومللت حياتي معها فطلقتها مرتين وكل مرة أعود لأجل أولادي الذين هم أغلى من حياتي.
جاء اليوم القاصم لكل فرص التوبة والرجوع إلى الدائرة المقدسة، "أسرتي"، التي كسرناها لتتسرب من بين أيدينا الجنة وينفرط عقد اللولي الذي كان يزين حياتنا.. ارتفع صوتها، وشكاوى من عجزي عن القيام بمهامي الأسرية وضعفي كأب يتدلل عليه أبناؤه، وفوضى أسمتها زوجتي"حرية" منحتها لأبنتي الوحيدة، وسلبتها بل وحرمتها عن أولادها .. فجأة حاولت التنفس فلم أستنشق سوى الإختناق، وجدتني وقد ألقيت اليمين الثالث.
هربت من بيتي أسير في الشوارع بلاهدف لا أعي كم الساعة ولا إلى أين أذهب، لكن شعرت بالأكسجين لأول مرة، هذه المرأة هي الجحيم قد هبط أرضا.
نزلت ضيفا ثقيلا على أحد الأصدقاء، والذي نصحني بإبعاد الشيطان وضرورة العودة،

فأسرتي تحتاجني .. أفهمته بأني أفضل الموت على الرجوع.
كان لابد من سؤال دار الإفتاء التي ألقت بتفسير يميني الثالث على ضميري ونيتي .. نعم كنت في كامل وعيي حين طلقتها .. هي طليقتي.
عدت إلى البيت، فلا مكان لي ولا قدرة مادية لأن أستاجر شقة أخرى، لأجد من يتدخل بحرمة الإقامة بنفس الشقة، فنحن لم نعد زوجين، واحد منا لابد أن يغادر .. تمسك أولادي بي وتمسكت ابنتي بي وبأمها، فما كان أمامي إلا أن أعيش في بيتي أبا لأولادي غريباً عنها .. ومازال سيف الحرام معلقا على رقبتي ورقبتها.

وأحببت نفسي

ظلت تنظر إلى عينيه، تجتاز كل الحواجز لعلها تتخلل إلى دواخله لتجد إجابات عن أسئلة لطالما حبستها خجلا أو كِبراً .. كيف تصدقه بعد خيانته؟!

لكن من قال إنها كانت خيانة؟ لماذا لم أحاول فهمه؟! ترى هل عودته كانت حبا أم مجرد احتياج؟ .. تعَود؟!

هو : أحبك، أعشقك بكل اللغات .. ليتك تحبينني ربع حبي لك.

هي : صف لي حبك ؟

هو: كل شئ له طعم مختلف معك، كوب الشاي، فنجان القهوة، الأكل طعمه مختلف .. أرى فيك الملاذ .. أشعر في حضنك بالأمان، الأمان الذي لم أشعر به إلا في حضن أمي.

ضحكت : أنت إذن مريض بأمك "اللبيدو"

- بل مريض بك
- لماذا لا أصدقك؟

- أنت أصبحتِ قاسية القلب
- بل أرفض أن ألدغ من جحر مرتين
- قلت لك إنني تغيرت ولن أخونكِ بل لن أخون نفسي ثانية
- ربما لن تفعل، لكنك تغافلت عن حقي أيضا في أن أتغير.
- هل تقصدين أنك توقفت عن حبي؟
- لا .. لكن كان حبي لك عن غير إرادتي، أما الآن فأنا أختاره.
- لا أفهمك
- كنت أدرو في فلكك كعلاقة عبد بسيده
- والآن؟
- الآن أنا أحبكَ بنضج، فهمت أنك كرجل تختلف فسيولوجيا وسيكولوجيا عني كامرأة الآن وجدت أني أستحق أن أحب نفسي وأرعاها، ولا يجب أن أوقف حياتي عند محطتك .. نلتقي أغازلك، تغازلني، أشبع رغبة فطرية، وأعود إلى نفسي أحقق ذاتي

لا يجب أبدا أن أجعلك كعبة أحج إليها، أنت الآن واحد من اهتماماتي ولست كل همي.
- لكني أحبكِ الآن أكثر ..
- تحبني أكثر لأنني أحببت نفسي وأصبحت وجودا مستقلا عن ، فرأيتني جيدا.. في السابق كنت أذوب في كيانك فلم تكن تراني، لم تر إلا نفسك، وأنا أيضا لم أكن أرى إلاك ..الآن أحبك بعقلي حبا صحيا.
"في حوار صحفي تحدثت عن أحدث أعمالها الأدبية وعن امتنانها لدعم زوجها، وحين سؤلت عن سبب نجاحها أجابت: "أحببت نفسي"

***

المنتدى[1]

وضع (البيرفيوم) ونظر نظرةً أخيرة على شكله بالمرآة .. ابتسم في رضا وردد دعاءه" :اللهم جمِّل خُلقي كما جمَّلت خِلقتي"، فهو رجل وسيم، في العقد الرابع، رجل أعمال ويهوى التمثيل.

حمل حقيبته (الكروس) وهبط الدرج مُسرعاً، ركب سيارته، فاليوم الجمعة موعد "المنتدى"، الصالون الأدبي الذي أسسه مع صديقه رشدي، المطرب والملحن بالمنتدى، يحضره الشعراء والمطربون الذين يبحثون عن فرصة للانطلاق إلى عالم النجوم، وضيوف آخرون لهم مآرب أخرى، قد تكون الترفيه أوالحب أو قد تكون اقتناص الفرصة..

جلس مع رشدي يتسامران إلى أن يأتي الرواد الدائمون منهم والضيوف، سأل سمير رشدي عن رأيه فيما يدور هذه الأيام من أحداث، وخاصة فيما تمر به الساحة الثقافية من هزة فكرية

وانقلاب فيما نحمله داخلنا من معتقدات كنا نتصور أنها حصينة وثابتة لا تهتز.
رشدي : أنا نفسي لا أعرف إجابة واحدة ثابتة توصلني إلى اليقين
سمير: ما رأيك أن يكون هذا موضوع الحوار الليلة مع الضيوف؟
رشدي : أخشى أن يكون الموضوع مثيراً للمشاكل والخلافات، وأنت تعلم أن الضيوف يأتون للترفيه والتخلص من كل المؤرقات، فهو لقاء ترويحي بعد أسبوع من العمل والضغط النفسي، فليس من المعقول أن نضعهم تحت ضغط نحن أيضا، هم يأتون لسماع الأغاني والموسيقى والشعر.
سمير : أنا أريد أن يكون المنتدى شاحذا للعقول كما هو مروحا للقلوب
رشدي : عموما أنت المسئول عن إدارة اللقاء ولك كامل الحرية في إخراجه كما تشاء وأنا حسبي الإعداد للفقرات الغنائية والأدبية .

سمير : سأحاول أن أتحكم في الحوار حتى لا يخرج عن السيطرة ونلتزم بالفقرات المعتادة.
هبطت من سيارة سيدة في العقد الرابع، أنيقة، جميلة وتوجهت إلى المنتدى، ألقت عليهما تحية المساء وسحبت مقعدا وجلست .. لاحظ رشدي أن عينيها لا تفارقان سمير، فهو يعلم أن هناك شيئاً ما بينهما ولكنه لم يواجه صديقه بعد.
توالى الحضور وبدأ المنتدى بكلمة من سمير ثم بأغنية من رشدي، وتوالت الفقرات طرباً وشعراً وغناءً، وجاء دور السيدة ذات الاربعين، ألقت قصيدة كانت كلماتها تقول:

"ومازلت كما أنا حية..
مكفنة بقوانين قبيلتي..
وشرود عنترة..
أحمق ..منهمك في نظم القصيدة
وليلى تزف إلى غريب
مزدان برمح فارس وحصان
وعاهتي المفطورة عليها..

امرأة ..لاتنبس شفتاها
برفض أو اختيار"
ابتسم رشدي ونظر إلى صديقه محاولاً أن يلفت نظره إليها، فهو يفهم جيداً من تقصد، ولكن سمير كان منشغلا بالترحيب بالضيوف والتحضير للفقرات.
جاءت فقرة الحوار، أمسك سمير المايك وطلب من الحضور الانصات والتفكير قبل الرد على سؤاله محور الفقرة .. انتبه الجميع وانتظروا السؤال ..
سمير : من هو الله ؟ ما شكله؟ رجاء لا ترددوا كلمات محفوظة من الأديان أو الكتب.
صدم السؤال البعض فخرجت عنهم أصوات تنم عن رفض واستهجان، والبعض الآخر وجد أنه سؤال قائم بالفعل ويدور بداخل الجميع، غير أن الخوف يمنع الكثير من الإعلان عنه ..
سمير : منحتكم وقتا كافيا والآن من عنده إجابة جديدة لم نسمعها قبلا؟ على ألا تزيد عن ثلاث كلمات

- الله هو الصانع
- الله هو المنتقم
- الله هو الحب
- الله هو الجبار
- الله هو المعز المذل
- الله هو اللاسلكي

نظر سمير إلى صبي في الثالثة عشر وسأله : ماذا تعني باللاسلكي؟

الصبي : نتحدث معه بلا وصلات سلكية ويحدثنا بالإشارات.

اعترض أحدهم بحجة أنه تجاوز وحرام أن نتحدث عن الله بوصف مادي لا يليق بخالق**!!**

طلب سمير من الحضور الإنصات والتوقف عن مقاطعة أحد أو الحجر على رأي أحد، طلبت السيدة منه المايك .. قالت : لو لاحظت إجابات كل ضيف لاكتشفت أنها مختلفة كاختلافنا، وأنها متعددة وكأنها لعدة آلهة وليست إله واحد، الله هو انعكاس لما في عقولنا، لثقافتنا، لمورثاتنا، نحن

نُسقط احتياجاتنا ورغباتنا ونجسدها إلى كائن ونسميه الإله .. الله هو من خلق إبداعنا.
سمير : كثيرون سيتهمونك بالكفر فكيف تصفين الله بأنه مخلوق؟
هي : لا تُحمل كلامي ما لا يحتمل .. أنا أتحدث عن فكرة "الإله"، وأتحدث عن التفكير الإنساني عامة هنا أو في أي مكان آخر، الصين، الهند.
نظر سمير إليها مشدوهاً مبتسماً وبداخله سؤال آخر يفتش عن إجابة : من هي؟!
لا شك أن إجابتها رُفضت من الغالبية وكانت محوراً للنقاشات الجانبية، أمسك سمير المايك ليعيد الهدوء وليواصل فقرات المنتدى، وألقى قصيدة لنزار متوجها بقلبه وعينيه إليها .. ابتسمت فرحاً فلقد رآها أخيرا.
انتهى اللقاء وانصرف الجميع وعاد إلى بيته ..أمسك الموبايل واتصل بها
قال لها : سأتواجد بساقية الصاوي غداً صباحاً، أنتظرك هناك؟
لم يتح لها فرصة الرد ..

التقى بها وكان صامتاً للحظات لعله يصل إلى إجابة سؤاله، ولكنه الفضول .. سألها

- من أنت سيدتي؟

وهي مبتسمة أجابت : أنا كما ستراني، سأتشكل تبعاً لحالتك المزاجية والنفسية .. غالبا سأكون ما تفتش عنه أو ما تهرب منه.

- أنتِ علامات استفهام لست علامة واحدة
- ومن أنتَ؟
- سمير

رنت ضحكة جعلته يقفز جنونا

- إجابتي كافية؟
- نعم كافية جدا.

مؤسسة الغد

جلست تحتسي كوباً من الشاي باللبن، وضعت الكوب وأمسكت الموبايل تتصفح آخر التعليقات على كتاباتها، تشغل وقتها إلى أن يأتي، فهو الموعد الذي انتظرته بعد حوار دام عدة أشهر .. دخل بشعره الطويل يعقده ذيل حصان، وبنظارته الشمسية زرقاء اللون، وتي شيرت زيتي اللون عليه صورة لجيفارا ..

- هاللو ميار

- هاي مصطفى

- أخيرا؟!

- Yeah

مبتسما : أنت جميلة

في خجل : thanks .. وأنت؟

- أنا إيه؟! أنا (shit) بالنسبة لكيوت زيك

- so .. إيه الأخبار؟

- لا جديد إلا أنك هنا

- لكني ألاحظ شيئًا جديداً

- ما هو؟
- أنت .. أنت مختلفة عن الشخصية التي تحدثني بجرأة على الماسينجر .. أمامي فتاة " بلوك" متحفظة، خجول.
- الحوار على السوشيال ميديا يمنحنا الحرية، أن نتحدث بلا خوف، بلا تجمل، فلاعيون تراقب شكلك ولا خوف من نقد.
- فعلا
- المجتمع هنا يقدس الميك آب .. الخداع
- أنتِ الآن بالميك آب إذن؟
- أكيد .. لا تنس أنني أحد أفراد هذا المجتمع
- أنا جئتك بلا ميك آب .. **(ورن ضحكة لامست قلبها)**
- أنتَ منذ عرفتك واضح وشكلك متناسق مع أفكارك
- ما رأيك أن تذهبي إلى (التويليت) وتخلعي الميك آب حتى أراك؟
- لا .. لا أستطيع

- بلى تستطيعين .. انهضي سأنتظرك، لا تخافي .. (وضحك ضحكته الواضحة كما السماء في نهار صيف).

ذهبت الى حمام السيدات وعادت بعد فترة ليست بالقصيرة

- أووو .. أنا شككت أنك هربت.. (ضاحكا)

صمتت وانتظرت أن ينطق بكلمة تُشعرها بالثقة خاصة أنها الآن بلا أي رتوش تجميلية.

- الآن نتكلم .. هل تذكرين جملتي المتكررة في حواراتنا؟

- أنكَ تقدس الحرية؟

- نعم .. أحسنتِ، الحرية

ميار تنطوي بداخلها على كل مترادفات الحياة فبلا حرية لا إبداع .. لا نهضة علمية، لا تحرك للأمام .. لا فن، لا حياة، بل موت وقبور

- أرجو أن تكون الحرية التي تعنيها بعيدة عن الفوضى، فالكون قائم على الحرية المنظمة.

- كيف تكون حرية ومنظمة في وقت واحد؟ النظام قيد، النظام حدود تعيق التحليق والحركة.
- أنت تتكلم إذن عن الفوضى .. الكون يتحرك في حرية ولكن أيضا في نظام، تصور لو أن الأرض تحركت بحرية متطرفة واختارت أن تتوقف عن حركتها يوما ستعم الفوضى التي تؤول إلى نهاية الكون.
- هل قلت لكِ إنك جميلة وإن عينيك صريحة بلا اكتحال؟ أراهما جيدا .. في أول نظرة إليك جذبني جمال مكياجك والكحل في عينيك ولم أر جمال عينيك الحقيقي.
- أما أنا فلقد رأيتك جيداً منذ الوهلة الأولى
- كيف رأيتني؟
- قلت لك ولكنك نسيت .. أنت واضح
- هل هذا مدح أم ذم؟!
- لا هذا ولا ذاك

- نغير صيغة السؤال، هل وضوحي راق لك؟
- إلى حد ما .. لا تنس أن حديثك معي على السوشيال ميديا لم يكن مناقضا لما تفعله الآن أنت هو أنت..
- ميار .. ما رأيك لو ذهبنا إلى مكان هادئ بعيدا عن أعين الناس وتلصصهم
- إلى أين مثلا ؟ **(ألقت السؤال وعلى وجهها ابتسامة شك واتهام)**
- لنا شقة بسيطة استأجرناها أنا وبعض الأصدقاء لإقامة مشروع خاص بنا ستروق لك، نشرب قهوتنا هناك ونكمل حديثنا .. هل تخافين مني؟
- لا .. كيف أخاف الوضوح ؟!
- هيا إذن

نادى على الويتر ودفع الشيك ونهضا من مكانهما، وضع يده على ظهرها وانصرفا .. ركبا (تاكسي) وتوجها إلى شقة صغيرة بوسط القاهرة، دخلت الشقة وسحبت كرسيا

واتجه هو إلى المطبخ وعاد ممسكا بطبق به مخبوزات ووضعه أمامها وجلس في مواجهاتها ..

- أنرت شركتنا المستقبلية

- بداية موفقة إن شاء الله

- أشكرك

- ماذا تشربين؟ كافيه، نسكافيه، كوفي ميكس وشاي طبعا

- أوك سأشرب (نسكافيه بلاك)

أحضر المشروبات وجلست معه على كنبة بالصالة وأخذا يتبادلان الحديث :

- هل ترغبين في الانضمام إلى شركتنا ؟

- هل عادي أن تكون معكم بنت ؟

- معنا صديقتان

- العلاقة بينكم عمل فقط؟

- ميار أنا أرفض النظرة الأحادية هل لابد أن تكون العلاقة بين أي جنسين علاقة جنسية أو حب.

- لماذا ترفض فكرة الزواج؟

- لا أعتقد أنها فكرة جيدة هذه الأيام كما أن إحضار أطفال إلى هذا العالم ليس عادلا .. الزواج مجرد ورقة "Marriage is a just a piece of paper for.. the government to keep track of couples.it is fucked up" لو

أحببت بنتا إيه الحكمة من أني ارتبط بها بورقة متخلفة

- معنى ذلك أن الحب عندك تعتبره كما (fast food)؟

It is not like that I just don`t see _ the point of it

- هو ممكن تقبل أن أختك تنفذ نفس الفكرة؟

- هي حرة واختيارها .. ما أؤمن به يخصني، لا أفرضه على أحد ، إن هي اقتنعت بذلك فلها كامل الحرية.

- والدين والعرف؟

- الأديان كانت مرحلة لتنسيق حياة كانت عشوائية همجيه، وانتهت تلك الفترة، ولو فرض

أننا أدخلنا الدين، أنا لا أعتقد أن الدين نزل لإتعاس الإنسان واعتقاله، بل نزل لتحقيق سعادته، وإن فشلت الطقوس الدينية في إسعاد الإنسان فهي هراء.

- الدين لم يأت فقط لإسعاد الإنسان، فالسعادة يختلف مدلولها من إنسان إلى آخر، فما يسعدك قد يكون سبباً في إتعاسي، بل أحياناً وموتي، الدين جاء لينسق ويضبط التعاملات بين الأفراد بعضهم والبعض، وتعاملات الإنسان مع نفسه أيضاً، أما عن الحب فوضوحك رائع، لكن الفتاة تفتش عن الأمان، الاستقرار.

- وأنت ترين أن هناك شيئاً اسمه استقرار؟ الاستقرار والأمان فكرة نسبية، قد تتحقق في زيجة، وقد يكون الزواج عائقاً لاستقرار البعض، بل يكون حرباً. لا ترددي جملاً ورثناها من عقول عقيمة، تجمدت عند العصور الوسطى، انظري حولك لتجدي أن أول من ينتهك القيم الدينيه من يعتلون المنابر، وأن من تآمر على تحقيق حريتنا والعدالة هم من يحملون لواء الدين

والثقافة .. الله لا ينتظر منك صلاة أو حجاً، لن يزيد من عرشه صلاتنا، أراد الله بالدين أن يكون كما (الكتالوج) لتنظيم علاقاتنا ببعضنا البعض، أن نتراحم، وأن تكون علاقاتنا مع الطبيعة في انسجام، وأن نحقق العدل والسعادة بيننا، لا أن نتقاتل ونتفنن في تعذيب بعضنا البعض .. هل تعتقدين أن الله بجحيمه كالجحيم الذي خلقناه في معتقلات أقمناها والسجون؟!

عند الموت يا صديقتي ربنا يكون رحيماً بنا، فنروح في غيبوبة من آن لآخر حتى يخفف عنا الألم، ونحن اخترعنا عقاراً يجعل السجين يقظاً ليشعر بالألم.

هل هناك قسوة أكبر من ذلك؟!

ما الحكمة من الحديث الدائم عن الموت؟ وما الحكمة من الاهتمام ببناء المقابر؟ هل خلقنا لنبني بيوتا للموتى؟ هل هذه فكرة الإله عن الخلق؟ أم كما قالت الأديان: إننا خلقنا لإعمار الكون؟

الإعمار يعني البناء على الأرض، عمارات ومصانع وملاهي ومستشفيات.. يعني بناءً رأسياً إلى الأعلى لا بناءً تحت الأرض لإقامة المدافن. شغلونا بالموت فلم نعش، بل قدسنا الموت والقتل وتسفيه قيمة الحياة، فأصبحنا نتلقى أخبار القتل كما وكأننا نشاهد فيلما سينمائيا بعد انتهائه سينهض أبطاله القتلى لينفضوا عن جسدهم الغبار.

- لماذا أراك تُشخصن القيم والأديان؟! أنت تحملني إرهاصات وخيبات أجدادي .. أنا لست مسئولة عن تلقي التعاليم الدينية بعقلية متخلفة وأننا تقوقعنا في التفاسير العتيقة، التي لا تتناسب مع العصر فعشنا في كهوف، لكن ليس معنى ذلك أن نهدم قِيما هي ما حمتنا من السقوط حتى الآن، نحن بلا دين كما أسرة تفترش العراء .. إن غاب الدين سيغيب معه السلام بل والعدل، الدين هو ما جعل وجودنا حاضرا حتى الآن .. كما قال "دويستوفسكي":
- "إذا لم يكن هناك إله فكل شئ مباح حتى

القتل" .. ليس من الإنصاف أن نحاكم الأديان بحمق من يدينون بها، وضياع فكرة الأسرة هو سقوط للمجتمع كله وتفشي الفوضى ..وبالتالي فهمك فيه قصور ..الكون كله قائم على نظام وقوانين تنظم العلاقات وتحدد لها اسما وأطرا وإلا تاهت الحدود وذابت الأسر.

- ولماذا الحدود ميار؟ نحن بشر، إنسان، المفروض أن الكون واحد، نحن من صنعناها وعنصرنا كل العلاقات ودوّلنا الحدود وأضعنا الحب وكان القتل والحروب.

كيف أنجب أبناء في هذه البيئة غير الإنسانية، إنها جريمة

- أنت تقيم مؤسسة المستقبل بنظرتك السوداوية للحياة؟

أنا كإنسان أحتاج أن أعتقد في وجود إله لأن المعنى المرادف له العدل، أحتاجه لأجل توزاني النفسي وشعوري بالأمان وليس العكس، لأن الله لا يحتاج بالفعل إلى إيماني ولن ينقصه كفري شيئا.

-ومن تكلم عن الكفر؟! أنا حاورتك عن مفاهيم كاذبة وعبودية لإقامة الطقوس التي لا تفيد ولا تضر البشرية في شئ تركنا العلم وقبعنا في أماكننا كما ينخ الجمل بلاحركة فسبقتنا أمم ومازلنا نتشدق بجملة أننا أصل الحضارات ..

بيني وبينك حب، وبيني وبين معتقداتك حرب لا قبل لك ولا لي بنتائجها، لكن لتكن بيننا هدنة وعمل، قد يجمع بيننا الهدف بعدما فرقنا فهم المعتقدات .. دعينا نتحدث عن خطط لنجاح مؤسستنا.

- حتى المؤسسات تحتاج إلى حزمة من القوانين والقيم لإرساء قواعدها، أم أنكم ستقيمون المؤسسة على نفس نمط معاملاتكم .. الحرية بلا حدود

ضحك بصوتٍ عالٍ أزعجها للحظات، ثم وقف أمامها ممسكاً بيدها ومقتحما عينيها قائلا:

- بل سنضع قوانيننا نحن، قوانين تضمن لنا اجتياز الحدود والتحليق وركل كل ما يشدنا إلى الأسفل وابتكارات لا تتحكم بها جاذبية

أرضية أو فكرية قوانين تنبت لنا أجنحة لنصل إلى السماء..

- والأرض؟

- الأرض عمّ بها التلوث والفساد لم تعد تصلح للأحلام ولا للحياة، سنجعل منها مجرد محطة للتحليق وربما نتمكن يوما من إصلاحها وهدم المقابر.

- أنت بمعتقدك هذا تهدم الحياة، أنت تقوم بإعدام المستقبل، فلا استمرارية للحياة دون الرسوخ على أعمدة تضرب بجذورها في الأرض

- أنتم تصعدون بنا إلى الهاوية، إلى الفناء

- ميار! دعي المستقبل يأتي براحته، ربما قريبا ينقى الهواء وتطهر الأنهار وتخمد الحروب وتذوب الحدود ونقيم أسرة تكون نواة لمجتمع صحي معافى.

وقفت تنظر إليه وإلى الباب المغلق عليهما وبداخلها حوارات تدور بلا صوت!!

جهيض الطبيعة

مرت بجواره، في هذه المرة توقفت أمامه طويلا، وكأنها تراه لأول مرة، رجل ملابسه ممزقة، قد اختفت ملامحها مما علق بها من أوساخ، شعره كثيف في شكل ملتوٍ غير نظيف وذقنه طويلة شعثاء لا يبدو لونها من الاتساخ، سألت نفسها: ماذا وراء هذا الرجل، وما الذي أوصله إلى الرصيف؟ تُرى هل هي قصة حب فاشلة أم خسارة مادية لم يتحملها عقله .. قد تكون صدمة لموت عزيز؟

استجمعت شجاعتها واقتربت منه وقررت أن تتعرف عليه

- السلام عليكم

- نظر إليها وصمت للحظات ثم رد

- نعم السلام عليَّ

- ما اسمك ؟

- لا أعرف ولا أهتم .. ما لزوم أن يكون لي اسم؟ لا تحتاج أسرتي إلى اسمي لتناديني، فأنا لا أبتعد عنهم

- أسرتك؟ هل لك أسرة؟!
- نعم .. قططي وكلابي.
- بيتنا هنا، الرصيف .. نحن نفترش الأسفلت نتدثر بأنفاسنا
- أين أمك؟! كلنا لنا أمهات.. أين هي؟
- أنا جهيض الطبيعة .. لفظتني عن غير إرادة مني. وطُلب مني أن أصارع الليل وعواء الجوع، أنا أشارك كلابي وقططي الطعام.
- ألا من مؤسسة حاولت أن تمد إليك يد المساعدة؟
- الناس يتعاملون معي بواحدة من ثلاث، إما النفور، فأنا أزعج عيونهم لاتساخي، فأنا مخلوق مؤذٍ لجمال الحياة ومؤذٍ لأنوفهم وحضارتهم، أو التجاهل، فلا يحملون أنفسهم عبء النظر إليّ وإزعاج أنفسهم بمنظري وحضوري الذي قد يؤنب ضمائرهم، فاكتفوا بالتجاهل وإلقاء همي على القدر، وصنف آخر أراح ضميره بأن اتهمني بالتسول والخداع لينام قرير العين .. سيدتي، أنا لست مسئولا عن وجودي، ولست مسئولا عن تشردي، ولست مسئولا عن كوني

مصدر إزعاج لكم، أنا توقفت منذ زمن عن إلقاء تهمة وجودي عليكم، واكتفيت بإشباع جوعي ببعض اللقيمات التي أشاركها مع شعب الرصيف، حتى أحلامي بلا اسم، بلا هوية، بلا معنى، فحيواناتي تقتحم حتى أحلامي، فهم أهلي، لماذا اردد كلمات لاافهم معناها.. أهل أحلام..وطن؟ !

بالأمس استغللت الثورة لأقتنص طعاماً آدمياً من أحد المحلات ، أوجع لي بطني، فألقيت به وعدت إلى أكل الرصيف.

واستغل البعض كينونتي لأجل السرقة أو النصب، أو كوسيلة لضرب من يرفعون شعار "عيش، حرية، عدالة" الذين يعادون الأمن والاستقرار وسيادة السادة، فأبيت.

- لماذا رفضت ؟

- هم يناصرون وجودهم، وقصورهم، وسياراتهم، والآخرون يفتشون عن وجود خاص بهم، وأنا لا يعنيني أي منهم، وأنا لا أعني لهم شيئاً، أنا كالمجاميع التي تمر بجوار أبطال فيلم ما ، مجرد إكمال للمشهد.

أنا لا أنظر إلى السماء، فرقبتي تشدها الأرض، وعيناي لاتبرحان الأسفلت الأسود.
لماذا تهتمين بي؟
- أحاول ان امد لك يد المساعدة، لكنى لاحظت أنك تتكلم جيداً. هل تقرأ؟
- نعم أقرأ، لكن ليس في الكتب، أنا أقرأ الوجوه، الأيام، أقرأ الوجود.
- لغتك تنم عن ثقافة.
- قضيت فترة لا بأس بها في إحدى دور رعاية المتشردين، ومن قبلها تعلمت العديد من اللغات. أنا أجلس في أماكن متنوعة، وأجالس الناس من كل المستويات، وراق لي مثقفوها، فاكتسبت منهم الفكر والفصحى.
- ولماذا لم يساعدونك للوصول إلى مكانة أو وظيفة؟
- كيف، وأنا بلا هوية، لا أعتقد بالأوراق ؟
ما حاجتي للوظيفة؟ وطريقها ملغم بالدسائس والصراع الملوث.

- أنا غير مقتنعة بأنك ابن الرصيف، أنت شخص له تاريخ، وتاريخه مزدحم بالأوجاع، أليس كذلك؟!

جذب وجودها معه انتباه المارة، غير أنها تجاهلت نظراتهم المتسائلة ،واستكملت حوارها معه:

- وما فائدة استحضار ما قد مات؟! العبث مع الموتى قد يجلب عليك وعلي اللعنات، وقد يستفز الحياة، فتنبعث من مرقدها لتقتل السلام حولي.

أنا الذي أسألك: لماذا أنت تعيسة ومسكينة هكذا؟ احكي لي، قد أنقذ ما تبقى من لحظات لا تعيشينها، قد أستطيع أن أدلك على الطريق.

- أي طريق ؟!

- السعادة!

- السعادة؟! وهل مثلك سعيد؟!

- مجرد نومي، وأنا لا أدين لأحد هو السعادة.

- هل الحياة كلها مقايضة، دين مقابل حاجة ؟ !

- نعم.. البغض دين .. تدينين بالظلم لمن تبغضينه، الحسد دَين، حتى الزواج والأبوة

سلسلة ديون لا تنتهي، وأنا اخترت أن أكون غنياً.
- هل أنت غني؟
- يضحك ضحكة تحمل معنى السخرية، مشبعة بالعطف عليها، إن لم أكن أنا غنياً فمن يكون، و أنت؟!
- أنا ماذا؟
- هل أنت غنية؟
- بل فقيرة .. فقيرة جداً. لكن مازال بداخلي سؤال: كيف انتهى بك الحال إلى الشارع؟
- الشارع واسع، والبيوت ضيقة، سنترك يوما البيوت يا ابنتي، ونؤول جميعاً إلى الوَسع، الأرض.
- أنت قد ظلمتك الحياة
- بل أنا حر.
قالها وانصرف مع عدد من القطط والكلاب.

رسالة أخيرة

جلست على سريرها، وسحبت ملاءة خفيفة على ساقيها، وأمسكت بقلم رصاص، وأجندة أهداها إليها في أحد الأعياد الكثيرة التي جمعتهما، وبدأت تكتب إليه هذه الرسالة، التي غالبا ستحتفظ بها، فلقد فقدت الرسائل معناها بل، وطريقها بعد اندثار ساعي البريد.

إلى .....

أكتب رسالتي، وأنا في النزع الأخير من النهار، وقد غرس الأطباء أنبوباً في أنفي لتمرير الأكسجين إلى رئتي المسكينتين، محاولة لإعادتي إلى ...الموت.

وقد أعلنت لهم رفضي، فاستغاثوا بالعلم ، أذكر أن هناك لمعة نور تفجرت ينبوعاً بصدري، حين اصطدمت بعينيك ذات شروق، وبطفولتي المعهودة تشبثت بيديك، وأنت تعجب، وفي عينيك تساؤلات: من أنا ؟ وماذا أريد؟!

لم أمنحك إجابات بقدر ما منحتك قصائد، ومازلت تنصت عجباً.
كنت كما المجاذيب، أخاطبك كرب، في حلقات ذكر ألتمس فيها الذوبان في روحك.
كم كان قلبي ثرثاراً، وعيناي تشتعلان بالحب، فأضاءت كما أعين الهررة حين تنظر ليلاً بحثا عن مأوى، وأنا أبحث عن ملاذي بصدرك.
وحين نزولي أرضاً، جف مني العطاء وانتظرت منك اعترافا، فقد غمرتك بشلالات من العشق ، لكن فيما يبدو أن انفاسك لم تتحمل إعصاري، فثرت غاضبا:
"كفاك لعبا ولهواً، أيا أمرأة لاتعي بروتوكلات الساسة، ولا عادات القبيلة، طفلة أنت!!"
في لحظة.. حبيبي.. نظرت في النهر لأكتشف أن كلماتك كفنتني بالشيخوخة، وأن عمري قد ولى، فسقطت في عمق عمق الواقع، وأفقت لأجدني فوق فراش الموت سريرياً.
أنا الموؤودة التي بحبك قتلت، وبعقوق عينيك لعنت، وأكتب رسالتي إليك دون حبر، وأعرف

أنك لن تقرأها يوماً ، إلا أذا أتقنت لغتي، وعدت كما قلبي طفلاً.
سأختم إرهاصاتي، وسكرات رحيلي، بوصيتي أن ينثروا رفاتي بذلك النهير الذي يصاحب رحلتك الأسبوعية إلى قريتك، ويشهد ابتساماتك ودمعاتك دوني، تلك القرية التي تتزود منها بحضن أمك، وأتزود أنا برائحتك المتسربة من الذكرى، فيكون خلودي، فلتذكرني أو لا تذكرني، حر أنت وراحلة أنا، فإلى غياب.
رفعت رأسها ، محاولة ابتلاع شهقتها، وحجز دمعة كادت تفر من عينيها، وضعت القلم بين أوراق الرسالة، وأغلقت الأجندة، فلقد دخلت الممرضة، إنه موعد تناولها للحبوب.
طرقات خجلة على باب حجرتها ، جعلتها تشب حية تنظر من هناك.
ترى هل سمع لهفة روحها إليه، وجاء يلبي مناداتها له وهي في انتظاره، أن يمد لها يده ويصحبها معه إلى الحياة؟!

***

المنتدى2

جلس الجميع في وجوم مطأطئي الرؤوس صامتين ينصتون إلى تلاوة من الذكر، يقف رشدي وسمير من آن لآخر لتلقي العزاء، ويعودان للجلوس
انتهى العزاء وجلسا معا..
سمير : الله يرحمه، موته جاء مفاجأة، لا أصدق أنه انتحر، ولماذا ينتحر؟ ! شئ غير مفهوم.
بعد قليل دخلت سيدة في النصف الثاني من العقد السادس، وقدمت لهما واجب العزاء، وجلست وقد بدا على وجهها الحزن .
ما لبثت أن قامت، وسلمت عليهما، وعرضت أن تقوم بتوصيلهما إن أرادا.
نظر سمير إلى رشدي، ولاحظ نظراته العدوانيه تجاه السيدة، ففهم أنه رافض لعرضها.
شعرت بالخجل وانصرفت.
جلس سمير بجوار رشدي وسأله :
- ما الأمر؟! لماذا رفضت أن تقوم بتوصيلنا؟
رد سمير: هذه المرأة منذ قدومها إلى المنتدى

والأمور لم تعد كما كانت.
هل نسيت محاولتها لإغوائك؟ ثم محاولتها معي؟
وحين يئست توجهت إلى المسكين سامي الله يرحمه.
سمير: هل تقصد أنها كانت على علاقة بسامي؟
رشدي : نعم، لقد حكى لي محاولاتها المستميتة لإغوائه، ذلك المسكين!!
لقد آثر الانتحار على أن يبيع جسده للعجائز، لقد كان شاباً ضحوكاً طموحاً طيباً، ورغم حاجته إلى المال لعلاج ابنه، إلا أنه لم يرضخ ، ولم يفكر في استغلال وسامته لحل أزماته، ويبدو أنه لم يتحمل فهرب من أزماته بالانتحار.
استيقظ سمير على دقات عنيفة على الباب، قفز من سريره، وتوجه إلى الباب، يقوم بفتحه، فيجد فردين من الشرطة ،ومعهما استدعاء له.
يتوجه سمير إلى قسم الشرطة ليجد رشدي هناك، بدا جليا أن الشرطة توصلت إلى سبب انتحار سامي.

سمير : ما الأمر؟ لماذا يحققون في موت سامي؟ ألم يكن انتحارا؟!
رشدي :علمت من التحقيق معي أنهم يشكون في أنه قد تم قتله.
سمير : ماذا ؟ يالها من مصيبة؟ طبعاً، بما أننا مؤسسا المنتدى، لابد أنهم شكوا فينا، أو ربما اعتقدوا أننا على علم بمن قتله، لكن لاحول ولاقوة إلا بالله ، لماذا قتل ومن ابن الحرام الذي فعل ذلك؟
رشدي : وجدوا على تليفونه المحمول رسائل غزل، كلها لسيدات تعدين الستين، وبعد التشريح وجدوا أنه تناول سماً، وهناك شك كبير أنه قتل.
علمت أيضاً انهم حققوا مع السيدة التي ترتاد المنتدى، وأدلت بمعلومات لا أصدق أياً منها تقول إنه كان يستغل السيدات الأرامل والمطلقات ومن تعدين سن الستين.
دخل سمير إلى غرفة التحقيق وخرج بعد أكثر من ساعة وقد بدا على وجهه الدهشة والذهول.

المنتدى 3

انتفضت من سكرة الحب، حدثت نفسها :
- ما الذي فعلته بنفسي، باسمي، بتاريخي؟!
إنه كما بقعة حبر التصقت بثوبي الأبيض بتاريخي الحافل بالإنجازات والعطاء. كنت شامخة كما الجبل، يهابني الجميع ، كيف انزلقت قدماي بعد رسوخ؟!
تذكرت كيف وقعت في براثن الهوى..
أذكر تلك الليلة، حين دعتني إحدى الصديقات إلى سهرة بالمنتدى لكسر الرتابة في حياتي، بعد أن أكملت مهمتي بالحياة، وأتممت رسالتي، وأوصلت أبنائي إلى بر الأمان، وأصبحت حياتي فراغاً.
ارتديت ملابس مناسبة، أنيقة، وتوجهت إلى المنتدى حيث ألتقيت به. كان رجلاً في العقد الرابع، وسيماً، شاعراً، محبوباً من الجميع، خفيف الظل.

أحسست بسخونة في كل أنحاء جسدي حين التقت عيناي بعينيه، وكأن الزمان عاد بي ليعيدني إلى فتاة عشرينية.
وتعددت زياراتي للمنتدى ، وتكررت لقاءاتنا.
كان صريحاً وصادقاً معي، قص عليَّ تاريخه، وزيجاته المتعددة التي تنتهي دوماً بوجع، وعلامات نحتت آثارها في قلبه.
اعترف أنه يشعر تجاهي بالارتياح الذي لم يصل إلى حد الحب، وأن فارق السن بيننا ليس لصالحي، فهو يرجو من الله طفلاً، لذا سيكون زواجنا سرياً، وأنه لن يكف عن البحث عن فتاة صغيرة، تهبه هذا الطفل، وتكون وطنا له وبيت.
سألته: وماذا عني؟
أجاب : ستظلين زوجتي، ولكن في السر.
لا أدري لم قبلت كل هذه الإهانات، وأجبته بآمين على كل طلباته التي كانت مجحفة.
صدمتني كلماته وصراحته الفجة، ولكن حبي له كان كافياً لأن أصم أذني وأغشي عينيَّ عن الرجوع.

تزوجنا زواجاً عرفياً، وكان الشهود أصدقاءه.
أفقت على مفاجأة أخرى - رغم أنها لم تعن لي شيئاً - وهي عجزه التام، لهذا السبب لم تستمر أي من زيجاته، كذب علي.
تقبلت الوضع، واحتضنته كأم، وزوجة محبة، ولكن كان الرد جحوداً وإهانات.
وفي إحدى الليالي التي أقضيها معه اعترف لي بحبه لفنانة شابة، وأنه سيتزوجها ،ويريدني أن أبارك هذا الزواج، حتى يحقق حلمه بالإنجاب والاستقرار.
سألته، وأنا أنزف كرامتي ودموعي :
- هل فكرت في هذه الخطوة جيدا؟
رد على سؤالي: هل تلمحين إلى عجزي؟ أنا لست عاجزاً، بل هو عدم اندماج بيني وبينك، وأنا لا أعيب عليك شيئاً، بل أنت سيدة جميلة وطيبة، ولكن لا جاذبية بيننا، أنا سليم تماما.
لملمت ملابسي وما تبقى لي من كرامة، وقررت الانسحاب لأتركه يحقق حلمه .. قام بتوصيلي، حين استدرت لأراه للمرة الأخيرة،

رأيت في عينيه دموعاً حاول إخفاءها، ربما كانت دموع من أوجعه ضميره لقتل إنسان خطأً، و قد يكون حباً يتعمد وأده.
مزق عقدي الزواج، وجدتني أعيره ظهري وسرت بطريقي، أجمع شتات أمري، وأستجمع قواي حتى لا يراني الناس وأنا أبكي.
عدت إلى حياتي وإلى أوراقي وكتبي، وأخرجت أولى رواياتي، ولكن البقعة التي علقت بقلبي ما زالت قائمة، بل وتتسع.
ذات ليلة يرن جرس الموبايل، أحد المحامين يطلب مني الحضور إلى مكتبه لأمر هام.
انتابتني الهواجس، هل حدث مكروه لأحد أبنائي؟
كانت ليلة طويلة، لم أتمكن من النوم، سطع النهار، ألقي بملابسي على جسدي، أهبط الدرج إلى سيارتي، لا أعرف كيف وصلت إلى المحامي .. دخلت وصاحبتني السكرتيرة إلى مكتبه، سألته:
- ما الأمر؟

طلب مني الهدوء، وطلب من السكرتيرة عمل فنجان قهوة لي، وكوب ماء.
بعد قليل حكى لي الحكاية : طليقك قتل زوجته، ويريد رؤيتك، وهو يلح في ذلك، وأتمنى ألا ترفضي، فهو في حالة سيئة ويطلبك بشدة.
صاحبني إلى محبسه وقابلته، شعره صار رمادياً، وفقد الكثير من وزنه، وجهه حزين ولكنه مازال مبتسماً.
ألقى بجسده وروحه في أحضاني، وظل يبكي، حاولت تهدئته، تركته في حضني حتى توقف عن النحيب، ثم جلس أمامي، نظرت إلى عينيه وسألته: ماذا حدث؟
- صرفت عليها أموالي، وعيرتني بعجزي، وأخيراً ضبطتها مع عشيقها في بيتي، قتلتها.
وواصل حديثه معترفاً بأنه لم يحب غيري، وأن كل ما كان يلقيه من كلمات سخيفة مجرد هراء يشوش بها على عجزه، "فكل ذي عاهة جبار".

عجزه ومحاولاته لإثبات رجولته أعمت عينيه، فضل الطريق، فلقد أضاع سعادته الحقيقية وسط صحبته لتلك الفنانة الطموح.
بالفعل أنا الآن مشهور ولكن بفضيحة.. لا أريد منك إلا السماح، وأن تقفي بجانبي بحضورك الجلسات، أشعر بالأمان في حضورك .. أرجوك.. أحبك..أحبك
قالها بصوت عال أمام الجميع، حاول أن يقتنص من شفتي كلمة أحبك، ولكنها تاهت في تلك البقعة التي اتسعت لتبتلع كل ذكرياتي معه، فغامت صورته كحبيب ووضحت صورة المغدور.
نهضت، وقبلته في جبينه، ووعدته أنني لن أخيب رجاءه، وسأكون معه.
خرجت، وأغلق السجان الباب بيني وبينه، وانصرف كل منا إلى محبسه.

الفهرس

النص	ص	النص	ص
الإهداء	٣	أنثى من فولاذ	٦٦
رقم عشوائي	٥	إنسان مختلف	٦٩
بيع باطل	١٤	الاعتراف	٧٦
النهر الخالد	٢٠	وجهي العملة	٨٣
الابتسامة الواقية	٢٦	أحلام فتاة عشرينية	٨٥
الجدار الرابع	٣٠	حب أون لاين	٨٩
اللون القاتل2011	٣٢	طلاق مع وقف التنفيذ	٩١
العيب	٣٦	وأحببت نفسي	٩٤
هل ترانا نلتقي ؟!	٣٨	المنتدى	٩٧
زواج أعمى	٤٦	مؤسسة الغد	١٠٤
حب عقيم	٤٩	جهيض الطبيعة	١١٧
زحف التراب	٥١	رسالة أخيرة	١٢٣
الرفيق	٥٤	المنتدى2	١٢٦
السير بمحاذاة القضبان	٥٦	المنتدى3	١٢٩
لحظة سعادة	٥٩	الفهرس	١٣٥